

المصطلح الفلسفي إشكاليات الترجمة واستراتيجياتها

أحمد سمير العاقور

كلية دار العلوم - جامعة الفيوم -

مصر

ahmad_alaqoor@yahoo.com

ملخص:

لا يمكن أن تكون ترجمة النصوص الفلسفية عملية محايدة وشفافة من شأنها أن تترك المفهوم بدون تغيير بمجرد تغيير الوسط اللغوي. لا شك أن اختيار المفردات، وحتى بناء الجملة، يؤثر على الفكر المعبر عنها؛ لأن مترجم النصوص الفلسفية هو الذي يعمل على إيجاد المعادلات اللغوية للبنى والشبكات المفاهيمية في العلاقة العضوية مع بعضها البعض. فمن الضروري بالنسبة له أن يعرف جيداً فكر الفيلسوف الذي يترجمه...

الكلمات المفتاحية: مصطلح فلسفي؛ مفهوم؛ إستراتيجية؛ هرمنيوطيقا؛ تفسير؛ تأويل؛ أفق الانتظار.

Résumé:

La traduction des textes philosophiques ne saurait passer pour une opération neutre et transparente qui laisserait le concept intact en changeant simplement de support linguistique. Le choix du vocabulaire, voire de la syntaxe, influence sans doute la pensée qui s'exprime en eux. Parce que le traducteur de textes philosophiques est celui qui élabore les équivalents linguistiques de constructions et réseaux conceptuels en relation organique les uns avec les autres, il lui est essentiel de bien connaître la pensée du philosophe qu'il traduit...

Mots clés: Terme philosophique; Concept; Stratégie; Herméneutique; Exégèse; Interprétation; Horizon d'attente.

تعد الترجمة الفلسفية واحدة من أهم أنواع الترجمات المتخصصة (Fachübersetzungen)، بسبب أن مجال التلاقي اللغوي في حالاتها لا ينشأ بالفكر المرتحل، وإنما بالتفكير في هذا الفكر ذاته، وأحياناً به. ولئن كان "المترجم" (Übersetzer) أي مترجم، شخص متنازع عليه، فإن الأمر يبيت أكثر بروزاً داخل إطار ترجمة النصوص الفلسفية، وذلك أن مسؤوليته بحسب كلمات لورانس فيتتي (Lawrence Venuti) ليست مزدوجة فقط، أجنبية ومحلية، ولكنها تنقسم إلى التزامين متعارضين: ترسيخ مكافئ معجمي لنص مكتظ بالمفاهيم وإبقاء الفهم أجنبياً للقراء المحليين. إن الترجمة المحفزة من لدن أخلاقيات الاختلاف تسعى إلى توجيه القراء المحليين للفلسفات الأجنبية وأيضاً إلى استدعائها في تفكير جديد.¹ وربما أمكن تعميق هذا التبصر بالإصغاء لأطروحات التأويليين، من أمثال مارتن هايدجر (Martin Heidegger) الذين يرون أن العنصر الجوهرى في الترجمة ليس هو انخراط لغتين في حوار، بما أن الكلام، حتى داخل اللغة الواحدة، ما يفتأ يفتقر إلى تفسير يلتبس معناه، وعليه فإن التفسير (Auslegung) والترجمة لا يعدوان أن يكونا الشيء نفسه.² وبهذا نتفهم الجهود الدائمة في تأليف المعجمات الفلسفية أحادية اللغة، التي يتوافر كثير منها على منجز فيلسوف بعينه، ترسيخاً لفكرة الأجهزة المصطلحية المتنوعة، وارتهاق المفهوم بالمفاهيم المتاخمة له داخل مشروع من دشنها، والدور المحوري الذي تؤديه السياقات في صياغة الفهم.

ما هو إشكالي في الترجمة الفلسفية هو أنها تتخطى مهنة الترجمة بالمعنى التقني؛ إذ إنها لا تنقل معاني مستقرة لدى أهلها، على صعيد اللغة العادية التي يتكلمها شعب ما، أو على مستوى الاصطلاح العلمي وما شابهه، مثل الوثيقة القانونية أو المادة الإعلامية. إن المفاهيم الفلسفية ليست مجرد مصطلحات كما أنها ليست محض ألفاظ عادية. إنها بالتحديد مفاهيم، أي قرارات مفكرة يمتحنها الإنسان بلغته في أفق تاريخ تأويلي معين لذاته من حيث هو كينونة في العالم.³ إن الحافة الأخرى حافة المشتغلين بهذه الترجمات من القراء، تشهد اضطراباً بالغا؛ حين يقصر المصطلح في لغة الهدف عن بث الشارات التاريخية

والمعرفية والوظيفية التي للمصطلح داخل لغة المنبع، فيؤول الأمر إلى اختزال كامش للمتنصور الغربي من جهة أو استببات قسري له من جهة أخرى، وحين يصدر لهم المنجز الترجمي بصفته معطى نهائيا يكتنز الدلالة ويطوقها، ولنتذكر الآن ما حدث في عام 1953، حين صدرت الترجمة الإنكليزية لكتاب الفيلسوف النمساوي لودفيج فيتجنشتاين (Die "دراسات فلسفية" (Ludwig Wittgenstein/ت: 1951م) Philosophischen Untersuchungen) وكتبت مراجعات عديدة حول الكتاب قلما تعرضت لطبيعة الترجمة نفسها، إذ افترض النقاد والشراح ضمنا تناظرها بالنص الألماني الأصلي، فكرسوا مراجعاتهم لأفكار فيتجنشتاين، واقتبسوا من النسخة الإنكليزية كما لو كان هو كاتبها، أو كما لو كانت نقلا بسيطا للمعاني التي قصد إليها.⁴

تتجلى استراتيجيات المترجم العربي وتدبيره في نطاق صك المصطلحات وتطوير وتهيئة شروط تشغيلها، وفيه أيضا يتبين المدى الذي بلغه في عمليات هضمها وإعادة تكييفها، بل كذلك تبرز الإخفاقات في إدراك المتصورات الوافدة واستجلاء سياقاتها، كما تشخص العثرات في الطرائق المصطنعة لمقاربة النصوص الأدبية. إن عملية صوغ المصطلح نهج إبداعي وتوجه علمي، يستوجب من الواضع قدرا موفورا من الدقة العلمية والسعة المعرفية، وأيضاً من الإدراك الحسي المتصل بشبكة الأدب وتقريراتها المختلفة بين علوم اللغة والعلوم الإنسانية، ويتصل بذلك قدرته على الاصطفاء الدلالي، هذا الذي يشكل رحلة مراوغة ونقطة تفجر تتكى على ركيزتين أساسيتين: تتصل الأولى بالية الوضع وتتعلق الثانية بحد التصور الجامع المانع، وتأتي فاعلية الأولى بدءاً من شرارة الإحياء وانتهاءً باصطفاء التصور في قالب جمالي مشحون بقدر من الطاقة، يحفظ له ملائمة التداول والشيوخ كما يحفظ له قيمته العلمية ومكانته الجمالية في حقل معرفي جمالي هو الأدب، وأما الثانية فعندها نصل إلى الشق العقلي والفلسفي في تأكيد أو نفي فعالية الإحياء الموثقة بالشرعية والمعيارية، وبكلمات أخرى: إننا نتوصل بالأولى إلى الصوت الدال الشرعي والمعياري الخاص بتصور معين، في حين نؤكد بالثانية مصداقية مرجعية التصور

من عدمها.⁵ على أن المترجم العربي كان يكابد لا متصوّراً يمتلك تاريخه ومفرداته، بل متصوّراً أجنبياً وافداً، وهو ما يستدعي التبصر بطبيعة الترجمة، من حيث كونها تعمل على إخراج المتصورات والمفاهيم من أجسادها صوتاً وصيغاً، ومن نظمها عقلاً وعلماء، ومن أنساقها معرفة وثقافة لتلبسها أجساداً ونظماً وأنساقاً غيرها لا تمت بصلة إلى نظيراتها التي كانت فيها هناك، فيشكل ذلك مقدمة لما قد يصبح هذا المخاض الترجمي من جرح وثلم وبتر، وعذابات للمفاهيم والمتصورات.⁶

تمضي الورقة الراهنة إلى تقصي الإشكاليات المتعلقة بترجمة المصطلح الفلسفي، واستجلاء الاستراتيجيات التي يلتجئ إليها المترجم أثناء قيامه بسك المصطلح في لغة الهدف، وسوف تتخذ من الترجمات العربية عن الفلسفة الألمانية مجالاً للاستشهاد والتحليل بصورة منتظمة، فنتوقف عند مصطلحين هما (Hermeneutik) و(Erwartungshorizont)، بالإضافة إلى تحليل بعض النصوص المترجمة عن الألمانية بالوساطة، موظفين إجراءات تشي حيناً عن طابع دراسة ناظرة للوراء أو متوجهة وجهة النص الأصلي، وحيناً آخر عن طابع دراسة ناظرة للأمام أو موجهة وجهة النص المستهدف، سعياً إلى المساهمة في صياغة مقترحات تنهض بترقية الترجمة المتخصصة في العالم العربي. $\epsilon\rho\mu\eta\upsilon\epsilon\nu\epsilon\iota\nu$

يأرز المصطلح الألماني (Hermeneutik) إلى الفعل اليوناني (hermeneuein/ $\epsilon\rho\mu\eta\upsilon\epsilon\nu\epsilon\iota\nu$) بمعان تستدعي الأفعال الألمانية (deuten, auslegen, interpretieren, erklären) وفي أثناء هذا المسار النابش عن الجذر الاشتقاقي نلتقي الاسم (hermeneutikos) واسم الفاعل (hermeneutes)، هكذا استرشدنا المعاجم التأثيلية (Etymologie)⁷، كما أنها ستنبهنا أثناء الكشف عن أصول نظيره الإنجليزي (Hermeneutics) على العلاقة بينه وبين هرميس (Hermes) إله العلم والفن عند الإغريق من جهة، والعلاقة بين هرميس وتحتوت (ديجوتي) إله الكتابة والسحر عند الفراعنة، الملقب بـ (Hermes Trismegistos) أي المثلث العظيمة، من جهة أخرى⁸، وهي

علاقات ربما تسوغ للربط بين المصطلح ولفظة (hermetic) التي تحيل على السحر والغموض والشئ الخفي. لقد بات الارتداد إلى هيرمس تحركا تلقائيا للدفع بالتأويل نحو مفهومه المعاصر، وفق الطريقة التي يصطنعها مشروع الفيلسوف الألماني مارتن هيدجر، حين يلتفت إلى الأسطورة القديمة التي تجعل من هرميس رسولا (Botschafter) بين الآلهة والبشر، ليؤكد أن التأويل لا يكون هرمسيا إلا عندما يفتح الكيان البشري على الرسائل/النصوص التي ترشح لعبور الفجوة الفاصلة بين تحجب الوجود وتكشفه.. إلا حين ينخرط الإنسان بذاته بين النصوص، وبهذا نتمكن من تفهم كيف يكون إنشاء العمل الفني الذي يخلفه شاعر أو روائي، تنويرا أو كشفا عن البقاع المظلمة المغيبة، بما أنه طريق تنتهجه الذات المبدعة لإحضار وجود الموجودات من عالم الخفاء إلى عالم التجلي.⁹

غير أن هذا المدخل في التعرف على تاريخ المصطلح لا يسلم من انتقادات بعض الباحثين، من هؤلاء جون بيبان الذي يذهب في مقالته: *L'herméneutique ancienne*¹⁰، إلى أن ترجمة الفعل الإغريقي إلى اللاتينية بواسطة الفعل (*interpretat*)، كان هو السبب الرئيس في انزياحه دلاليا وشحنه بمدلول التأويل أو التفسير، بفضل السابقة (*inter*) التي تفيد معنى التدخل والتوسط بين شيئين، بينما كان المصطلح قديما مستعملا للدلالة على مفهوم التعبير أو الإفصاح، يؤكد هذا توظيف أرسطو وفيلون الإسكندري له، فقد عنون أرسطو، على سبيل المثال، للمقالة الثانية من كتاب الأورجانون على النحو الآتي (*Peri Hermeneias*)، دون أن يكون لهذا اللفظ أي صلة بفهمنا الحديث عن التأويل، بما هو مجال تعددية المعاني أو تداخل نشاط القارئ مع قصدية النص، بل فقط بما هو لجوء إلى لغة أو صوت للتعبير عن معنى شيء ما، ولعل في هذا ما يدعونا للإشادة بالتوفيق الذي حالف المترجمين العرب في القرون الأولى حين ترجموا هذا الجزء تحت عنوان العبارة.¹¹ كما انتقد بيبان أيضا إقامة العلاقة بين المصطلح وهرميس، ناعتا إياها بالتعسفية وغير المبررة، مستندا إلى آراء بعض اللغويين المشككة في صحتها، وعلى هذا النحو يمضي في

غربة المفاهيم التي حقن بها الفعل (hermeneuein) في حقب متأخرة، بسبب الترجمات أو تطور الفكر الفلسفي، ليستبقي منها فحسب مفهوم "التعبير"، مضيفا إليه مفهوم "الترجمة" من لغة إلى أخرى، وتحديدًا في سياق إشارة بعض كتابات هذه المرحلة التاريخية إلى ترجمة نصوص التوراة من العبرية إلى الإغريقية

أرجو أن تمهد هذه اللحة الخاطفة للحديث عن الارتباك الذي صاحب تلقي المصطلح الوافد إلى الثقافة العربية، بل تسهم أيضا في الكشف عن أسبابه، ومن الممكن في سبيل ذلك أن نسعى لتشعيب محاولات تعاطيه على الخانات النمطية الآتية: النقل والافتراض والتعريب:

- سيقاننا هذا المصطلح الإنجليزي (Hermeneutics) مترجما إلى "التفسيرية" عند محمد عناني، بالاستناد إلى الدلالة الأولى التي يرشد إليها الفعل اليوناني القديم، يقول: "أما موقع التفسيرية من النقد القديم وما كان يسمى بفقه اللغة الديني فهو بمثابة القلب النابض، إذ كان القدماء يفرقون بين الدراسة النصية Textual Study التي تشبه ما نسميه اليوم بالتحقيق والنشر وبين التفسير الذي يقع عليه عبء تفهم النص أو إفهامه للجمهور"¹²، ويصر على هذا المعنى حيث يتعرض لنظرية شتاينر الترجمية التي تستلهم هيدجر وغيره، تحت عنوان: الحركة التفسيرية (hermeneutic motion)¹³، في حين يلقاننا المصطلح مترجما إلى "التأويل" عند عز الدين إسماعيل، الذي يرتكن إلى وجهة التصور العربي القديم المفضي إلى وصف العلاقة بين التفسير والتأويل بأنها علاقة بين عام وخاص، ومن هنا فمن الأولى في رأيه أن نجعل "التفسير" مقابلا للمصطلح الإنجليزي (interpretation)¹⁴. هي إذن في هذا المسار تأويلية أو تفسيرية، لكن آخرين يرون أنه بحاجة إلى سوابق تجعل منه نظرية أو علما أو فنا، من هؤلاء نصر حامد أبو زيد الذي يترجمه أحيانا إلى "نظرية التفسير"، تمييزا له عن التفسير نفسه (Exegesis)¹⁵، ومجدي وهبة الذي يترجمه إلى "علم التأويل"، ويشرحه بالامتيان من تصورات قديمة، فيشير إلى ثلاثة مجالات يستخدم فيها: دراسة المبادئ المنهجية

في تأويل النصوص وخاصة الدينية، تأويل نص ما وحل رموزه وكشف مغزاه، ونظرية تأويل رموز لغة ما بوصفها ترمز إلى عناصر ثقافية معينة¹⁶، بينما يستسيغ محمد شوقي الزين مصطلح "فن التأويل" لترجمة نظيره الفرنسي (Herméneutique)؛ لأن المصطلح يشير في نظره إلى الاستعمال التقني لمجموعة من الآليات بغرض الكشف عن حقيقة شيء ما¹⁷، وسوف يعود بعد ذلك ليتحدث عن إشكالية ترجمة نظيره الألماني (Hermeneutik)، محبذا ترجمته إلى فن التأويل، لأنه لا يحيل على علم أو نظرية، ويبدو أن الزين في صنيعه هذا كان يرقب، بالإضافة إلى مرجعياته التي أشار إليها، حديث فيلسوف التأويل الألماني هانز جورج جادامير (Hans Georg Gadamer) عن تطور مفهوم التأويل، وهو حديث يقع في ترجمة الزين نفسه، يقول جادامير:

"هكذا تطور المعنى المعرفي لـ « Hermeneias » أو « Hermeneus » في الهلينية المتأخرة ليدل على التفسير العلمي أو المؤول المترجم. لكن الأصل المقدس القديم عمل باستمرار على تبيان الهرمينوطيقا باعتبارها فنا أو آلية: فهي تدل على الفن - بحيث تشكل الحكم والأقوال المرجعية الهامة ومحل الإعجاب وإثارة النفوس- الذي يسمح بالكشف عن مسألة مبهمة وملغزة، سواء تعلق الأمر بخطاب أجنبي أو قناعة الآخر ومعتقداته التي لا يعبر عنها. يتعلق هنا الأمر بما نسميه عادة اللاتينية ars فن وبالألمانية Kunstlehre آلية أو تقنية¹⁸، مثل فن الخطابة وفن الكتابة وفن الحساب الذي يدل على المهارة والممارسة أكثر منه على العلم والنظرية." ¹⁹

- المحاولات الفائلة لترجمة المصطلح لا تروق لكثير من الباحثين، فيلجئون من ثم إلى آلية أخرى لتلقي المصطلح الوافد، هي آلية الاقتراض، وهو اقتراض جزئي غالبا؛ إذ يكتبون المصطلح الأجنبي بحروف عربية على النحو الذي يجعل من نطقه مشكلا للهيئة التي ينطق بها في لغة المنبع، وإذ إنه لا منبع واحد في الواقع بل منابع متعددة، فقد كان من المرتقب أن تتعدد الصور التي خلفها الالتجاء إلى هذه الآلية، بين "الهرمينوطيقا" بحسب النطق الإنجليزي للكلمة « Hermeneutics »، و"الهرمينوطيقا" بحسب النطق الفرنسي للكلمة

(Herméneutique)، بالإضافة إلى تنوعاتها المختلفة مثل: الهرمانيوطيقا والهيرمينوطيقا، ومثل الهرمنوتيك التي ربما اقتصر استخدامها على كتابات سعيد علوش، لتبيت بذلك أقرب الصور إلى النطق الفرنسي دون تغيير²⁰، ونشير إلى صورة أخرى محتملة هي الهرمنويطيقا بحسب النطق الألماني للكلمة (Hermeneutik)، وإن كنا لم نعثر عليها في كتابات المعنيين بهذا المجال²¹، ربما لما سنلمح إليه آخر هذه الوقفة من عزوف معظمهم عن التعامل المباشر مع الثقافة الألمانية. ورغم تباين الحثثيات التي دفعت بهؤلاء الباحثين إلى هذا المسلك، فإن تحاشي الترجمات العربية التي لا تقي بدورها في استيعاب التصور الغربي للمصطلح يكاد يترأى نقطة ارتكاز، ويشرح ذلك عبد السلام المسدي بإشارته إلى أن مصطلح التأويل يتلاءم بصورة مطلقة لكي يكون خير كلمة تؤدي بها مادة لغوية أخرى في اللغة الأجنبية، وهذه المادة تأتي ضمن الحقل الدلالي الواسع لسلسلة من المفاهيم كالشرح والتفسير²²، ويؤكد ذلك عبد الغني بارة حين يصف هذه المفاهيم بأنها فرعية أو مرحلية، تنبثق من صميم المقاربة التأويلية للنصوص²³؛ أما الحثثيات الأخرى فلا تعدو أن تشكل عضادات لتثبيت المصطلح المفترض وتعزيز استخدامه، أو مؤشرات للاستقرار على صورة بعينها من صوره المتعددة، ويمكن أن نشير هنا، على سبيل التمثيل، إلى الحبيب بو عبد الله الذي يستند في تبرير اختياره مصطلح "الهرمنيوطيقا" إلى صنيع المترجمين الأوائل وإلى كونه الأكثر تداولاً فيما يرى، يقول: "وجدنا في هذه العبارة اتباعاً لطريقة في التعريب أو الترجمة اعتمدها أسلافنا من الفلاسفة في نقل المصطلحات الفلسفية اليونانية، ثم إن هذا المصطلح بدا لنا أكثر تداولاً بين الباحثين والنقاد"²⁴، ويشرح ما يعنيه بطريقة المترجمين في الهامش قائلاً:

"نقصد بتلك الطريقة في الترجمة ذلك التقليد الذي أرساه أولئك المترجمون وبعض الفلاسفة العرب في التعامل مع المصطلحات الإغريقية أثناء ترجمتهم لبعض المصنفات الفلسفية خاصة، فقد كانوا يكتبون تلك المصطلحات بالعربية مثلما تنطق في لغتها الأصلية الإغريقية، مثل أنالوطيقا وطوبيقا وريطوريقا وبويطيقا وغيرها."²⁵

- لكن لعلنا نلاحظ في هذا النص الأخير أن بعض عباراته تتسم بشيء من المبالغة أو التعميم، حين تحاول أن تجذر لهذه الإستراتيجية بالارتداد إلى أسلافنا من المترجمين، وحين تصفه بأنه تقليد مرسى؛ ونستند هنا في موقفنا إلى أنها كانت طرائق شتى وتقاليد متباينة، فلئن كان بعض هؤلاء المترجمين ذهب إلى ضرورة إيجاد مقابل عربي أمام كل كلمة مفردة يونانية، ولهذا وقعت بعض الكلمات اليونانية على حالها الصوتي، فإن فريقا آخر منهم، على رأسهم حنين بن إسحاق (توفي تقريبا 264هـ)، كان يعتمد إلى الجمل ليعبر عنها في جمل عربية خالصة. هذا القول، الذي استخلصناه عن الصفدي²⁶، قد يترأى قاصرا عن بيان حال المصطلحات العلمية، التي يجدر ترجمتها على نحو يسعف في الإمساك بالمتصور الغربي، لكن تأمل بعض الترجمات القديمة سيظهرنا بوضوح على التباين الكائن في طرائق تلقي المصطلح، ونكتفي هنا، لضيق المساحة، بالإشارة إلى أن هذه المصطلحات الإغريقية، التي أوردها النص الفائت نفسه، ترد في كتاباتهم أحيانا بمفردها، وأحيانا مشفوعة بالمقابل العربي، وأحيانا نصادف المقابل العربي من دونها، وعلى سبيل التمثيل يقول النديم (ت: 380هـ): "الكلام على كتبه المنطقية [يقصد أرسطو]، وهي ثمانية كتب: قاطيغورياس معناه المقولات، باري ارمانياس معناه العبارة، أنالوطيكا معناه تحليل القياس، أبودقطيكا وهو أنالوطيكا الثاني ومعناه البرهان، طوبيكا ومعناه الجدل، سوفسطيكا ومعناه المغالطين، ريطوريكا معناه الخطابة، أبوطيكا ويقال بوطيكا معناه الشعر"²⁷.

- التعريب هو ثالث الآليات التي يمكن أن نتعاطى المصطلح بوساطتها، ولست أريد هنا أن أتورط في الحديث عن الحدود التي يقف عندها مصطلح التعريب، أو أمضي قدما في حشد النصوص التي تجسد الاختلافات الواسعة حول مفهومه، إذ يكاد يتماس عند كثيرين مع الاقتراض، بل أحيانا أيضا مع الترجمة، ولذا أكتفي هنا للتمييز الإجرائي بالانكفاء على نص الجوهري المختلف حول دقته: "تعريب الاسم الأعجمي أن تتقوه به العرب على منهاجها"²⁸، وهو شرط لا يتحقق في الاقتراض على النحو الذي أوضحناه آنفا، وإنما من الممكن

أن نرصده بدرجة ما عند باحثين آخرين مثل سعيد بنكراد، الذي يلج في ترجماته ودراساته على استخدام مصطلح "الهرموسية" مقابلًا للمصطلح الفرنسي (Herméneutique)، في حين يترجم مصطلح (interprétation) إلى التأويل، يقول: "السيرورات التعرف على المعطى المباشر وفهمه في ذاتها التي تقودنا إلى خلق حالات التنويع السياقي الحامل للمعاني المتنوعة، كما هو مسجل في تراث الهرموسية أو في اقتراحات التفكير وممارساته"، ويستكمل في الهامش قائلاً: "الهرموسية تعريب لكلمة Herméneutique"²⁹، ويظهر أن صنعة هذا يتأسس، فضلاً عن التفريق بين التأويل والهرموسية، على ركيزتين، الأولى: الرابط الاشتقاقي بين المصطلح وهرمس، وفي ذلك نجد قوله: "الهرمسية نسبة إلى هرمس، وهو إله إغريقي متعدد الوظائف والمجالات والاختصاصات ويرمز إلى المعرفة الكلية والتأويل الشامل... ومن هذه الزاوية فإن نسبة السيوزيس والتأويل عامة إلى هرمس وكذا نحت الصفة هرمسية يعود إلى هذه القدرة في تخطي كل الحدود والإتيان بكل التأويلات..."³⁰، أما الأخرى فهي استلهاً الوزن العربي أثناء الصياغة، وتقديمها على هيئة المصدر الصناعي، ومصادقته على تعريبها باشتقاق اسم الفاعل منها: "الهرموسيون"³¹، وإن كان من المتوقع أن يلقي هذا التعريب مسائلة بسبب غياب الوزن فعلول بكسر الفاء وضم اللام عن الأوزان التي لهجوا بها، أو فعلول بفتح الفاء وضم اللام إلا في كلمة "صعفوق"، اللهم إلا إذا تخففنا من هذا العبء وارتضينا مذاهب من يرون أن التعريب يتسع ليشمل ما خالف البناء الصرفي للكلمات العربية.³²

إن هذه الخانات التي وزعنا عليها المحاولات المعاصرة في تلقي المصطلح الغربي ليست منعزلة، أو مؤطرة على نحو دقيق، حتى لو أمكن قياس كثافة حضورها بشيء من الحرص، المتولد عن ملاحظة ذيوع الصيغة المقترضة، لاسيما في صورتها الإنجليزية والفرنسية، بما يكافئ ذيوع المقابل العربي: التأويل أو التأويلية، في حين نشهد خمول الكلمة المعربة إلى الحد الذي تقتصر على من صكها وحده، وحتى لو أمكن كذلك في مرحلة لاحقة توزيعها وفق الركون إلى

التفاريق العامة لجغرافيا الثقافة في البلدان العربية، ما بين أنجلو سكسونية وفرنكفونية - نقول إن هذه الخانات ليست منعزلة ولا مؤطرة، ويكفي للتدليل على ذلك معرفة أن الصيغ المختلفة التي عرضنا لها تتجاوز كثيرا في أعمال المؤلف الواحد، بل أحيانا داخل الدراسة الواحدة، وقد يعود السبب في ذلك إلى نزعة التوفيق التي تسكن الدراسات العربية واتجاهاتها، وقد يعود إلى استراتيجياتها الحذرة إزاء عمليات الانتخاب، وقد يعود إلى الرغبة في تحقيق أغراض تثقيفية وإفهامية تتحدد وفق طبيعة جمهور القارئ، ونشير هنا، على سبيل التمثيل، إلى صنيع من طلبة في توظيفها مصطلح هيرمينوطيقا للتعبير عن المتصور الغربي ومصطلح التأويل للتعبير عن المتصور العربي.³³

تطول القائمة إن نحن أردنا الاستيعاب، أو حتى مجرد الاقتراب، ولذا فمن المفيد أن نقف أخيرا عند نموذج أحسب أنه ينهض بشرح ظاهرة التداخل، كما يسعف على نحو من الأنحاء في تحسس أسبابها، وأقصد كتابات الناقد نصر أبو زيد الذي ذكرنا أنه يترجم المصطلح أحيانا إلى "نظرية التفسير"، إنه أيضا من يترجمه إلى "نظرية التأويل" و"التأويلية" و"التأويل"، كما يعتمد أحيانا إلى الترجمة الشارحة "نظرية تأويل النصوص"³⁴، هذا بالإضافة طبعا إلى الصيغة المقترضة "الهرمينوطيقا"، التي عنون بها مقالته: "الهرمينوطيقا ومعضلة تفسير النصوص" (نشرت لأول مرة في مجلة فصول القاهرية، عدد أبريل 1981م)، ومن الممكن تفهم هذا الوضع بواسطة نظرين: الأول إلى الفروق بين المصطلحات، يقول: "من هذه الأفكار الشائعة المستقرة التي يمكن أن نعيد طرحها فكرة التفرقة بين التفسير التأويل، وهي تفرقة تعلي من شأن التفسير، وتغض من قيمة التأويل على أساس من موضوعية الأول وذاتية الثاني"³⁵، ثم ينتهي بعد استعراضه بعض النصوص التراثية التي يفهم منها التسوية بينهما إلى قوله: "ولعل في ذلك كله ما يسمح لنا أن نتجاوز التفرقة الاصطلاحية المتأخرة بين التفسير والتأويل، ونعود إلى الأصل وهو التوحيد بينهما، على أساس من الإيمان بأن المفسر في علاقته بالنص لا يستطيع تجاهل

البعد التاريخي الذي يفصله عن زمن النص، ولا يستطيع من ثم أن يحل نفسه في الماضي وصولاً إلى موضوعية مطلقة في فهم النص.³⁶ أما النظر الآخر فإلى طبيعة لحظة الاستقبال التي يمكن نعتها بالتأسيسية؛ إذ نهضت أعماله في وقت مبكر بجذب الانتباه العربي إلى فلاسفة التأويل ومدارسه وإجراءاته، كما تحمست للطرائق المتولدة عنها أثناء قراءة النصوص، على النحو الذي ألجأه إلى الارتحال ذهاباً وإياباً لمراجعة المسلمات والمفاهيم، داخل المدونة الغربية أو التراث العربي على السواء، ومنه إلى التنقل المرن الطليق بين المصطلحات التي يخالها ملائمة للمتصور، وهو التنقل الذي يمكن أن يترأى مسؤولاً بدرجة ما عن ظاهرة الارتباك التي تنقصها، من حيث كونه اقتض سبيلها مستبدلاً بالصرامة المصطلحية آليات تستهدف غايات إيديولوجية وتنقيفية في المقام الأول.

التراتب الذي نظمت به المعارف الماثورة هنا من الممكن أن يترس الدراسات العربية الحائرة، من حيث إنها تبرز في بعض قطاعاته مستقبلية مصطلحاً متاخماً لمصطلحات أخرى، وتصوراً لم يزل يتطور على مر العصور، فضلاً عن الوضع المماثل للمصطلحات العربية المقابلة، لكن هذا الأمر لا يطرد، إذ يمكن أن نلتفت، على حافة أخرى، إلى أسباب تتعلق بماهية اتصالنا بكتابات فلاسفة التأويل ونظرياته ومدارسه، إذ يبدو في كثير من الحالات اتصالاً من الدرجة الثالثة، إن صح هذا التعبير، حين نلتقي أثناء التفتيش عن مرجعيته لا الكتاب الذي كتبه المؤلف في اللغة الألمانية، وهي اللغة التي كتبت بها معظم هذه الكتابات، ولا أيضاً الكتاب نفسه مترجماً إلى لغة بسيطة، وإنما نلتقي بكتابات أخرى لا تعدو أن تكون قراءة على قراءة، بالمعنى الذي يحيلنا على فكرة تخصيص مفهومات المصطلحات المهاجرة، بما أن المنعطفات التي تمر بها لا تكف عن التأثير فيها. إن تعرف هايدجر عن طريق الفرنسي التأويلي بول ريكور (Paul Ricœur)، على سبيل التمثيل، ليس ينتهي بالمرء إلى ريكور نفسه، مهما تكن دقته وأمانته، ومهما بلغت درجة إمعانه في الثقافة الألمانية، ولسنا نحسب أنه سيخلصنا من هذا خطو الآخرين نحو الاتصال بهذه الكتابات في

ترجماتها الإنجليزية والفرنسية، إذ سنظل رهن إसार التأويل الذي يمارسه الفعل الترجمي، وهو ما يمكن الكشف عنه في دراسات قادمة.

لعل مصطلحا فلسفيا لم يلق ما لقي المصطلح الألماني (Erwartungshorizont) داخل الدراسة العربية الحديثة، على مستوى الاضطراب في اللجوء إلى صيغه الترجمية المقترحة، وعلى مستوى زبئية المفهوم الذي يحيل عليه. من المعروف أن لدينا صيغتين رئيسيتين: الأولى: "أفق التوقع" بصورتها المتفرعة عنها "أفق التوقعات"، والأخرى "أفق الانتظار". يتبنى الصيغة الأولى عيسى العاكوب³⁷ ومحمد مساعدي³⁸، ويتبنى الصيغة الثانية سعيد علوش³⁹ وبسام بركة⁴⁰ وعبد العزيز شبيل⁴¹ وخليفة ببا هواري⁴². وإذ يتصل أمر ذيوع هذه الصيغة أو تلك لا بهؤلاء فحسب وإنما بآخرين، من الذين اتصلوا في دراساتهم بنصوص يافوس، أو أنجزوا ترجمات لكتابات شراح النظرية، فقد يحسن أن تتسع الدائرة لتشملهم أيضا، فنضع تحت الصيغة الأولى: حامد أبو حامد⁴³ ورعد جواد⁴⁴ وعز الدين إسماعيل⁴⁵ ومحمد خير البقاعي⁴⁶ وسامي إسماعيل⁴⁷ وخير الدين دعيش⁴⁸، ونضع تحت الصيغة الأخرى: حسين الواد⁴⁹ وشكري المبخوت⁵⁰ وعائدة لطفي⁵¹ وأحمد بوحسن⁵² وقاسم المقداد⁵³ ومنذر العياشي⁵⁴ ورضوان ضاوي⁵⁵.

إلى جانب هؤلاء الذين أذعنوا لاختياراتهم الأولية دون تبديل، يجيء أولئك المزايلون مواقعهم، والحق أن الحالات التي رصدتها تجسد جميعها اتجاه المسير من الصيغة الثانية إلى الصيغة الأولى، أي من "أفق الانتظار" إلى "أفق التوقع" في حين لم أتمكن من رصد حالات معاكسة؛ وأشير هنا إلى رشيد بنحدو⁵⁶، وسوف أتوقف عنده لاحقا، وأيضا إلى محمد العمري، الذي استخلص موقفه هذا من لجوئه إلى مصطلح "أفق الانتظار" فيما تقدم زمنه من كتاباته وترجماته، واستخدامه مؤخرا مصطلح "أفق التوقع" في بعضها⁵⁷، كما أشير أخيرا إلى غسان السيد، وإن كان الأمر لا يتعلق باستنباط محض في حالته؛ لأنه يوفر علينا بعض العناء الذي يكلفنا به أكثر المترجمين، حين نضطر في سبيل التوصيف الدقيق لمنجزهم إلى أن نتتبع كتاباتهم

المنتشرة، بينما يحكي هو بنفسه، في فقرة بندر وجودها لدى آخرين، عن تجربته في هذا الصدد، فيتحدث عن أزمة الترجمات عن اللغات الوسيطة لنظرية كتبت أهم أعمالها باللغة الألمانية، ويشير إلى أنه ترجم المصطلح عن الفرنسية ترجمة حرفية في بادئ الأمر، ثم عدل عن هذا الاختيار في ترجمات لاحقة إلى "أفق التوقع"⁵⁸، ولئن كان من الإنصاف واللياقة تثمين اعتراف المترجم، واستثمار ذلك في حث بقية المترجمين على تسجيل تجاربهم التي تسهم في ترشيد مسيرة المأقفة؛ فإنه من الضروري التنبيه على أن حديثه يجيء خلوا من الأسباب العلمية التي حدثت به إلى العدول⁵⁹، وأنه يركز على دور الترجمات الوسيطة في إحداث هذا الارتباك، وهو ما يبدو تكرارا لحجة سأفندھا بعد قليل، وأنه أيضا إلى أن الطبعات التي تنظم فيها ترجماته تتراءى غير منسجمة مع منازل هذا التطور، لسببين رئيسيين: الأول: أن بعضها يعاد فيه نشر مقالاته بصورتها القديمة فيبدو مسار التطور منقلبا⁶⁰، والآخر أن بعض ترجماته تفسح الطريق أمام المصطلحين، فيما يدعو لإلحاقه بطائفة المذبذبين، على الأقل في مرحلة من مراحل مسيرته العلمية.

لا يخلو المجال كذلك من المذبذبين بين المصطلحات المتعددة، ولو أن الظاهرة تغدو هنا أكثر بروزا، فما إن يطالع قارئ الدراسات المعنية حتى تتمرس عينه بملاقاة المصطلحين متجاوزين، ولست أقصد المجاورة التي يضطر إليها الباحث بسبب النصوص المقتبسة عن الآخرين أو مناقشتها، وإنما أقصد المجاورة الناشئة عن الخلط تارة وعدم الحسم تارة أخرى. تتجلى الظاهرة أحيانا في تحمس بعض الباحثين لمصطلح ما، في حين نفاجأ بلجونهم إلى المصطلح الآخر أيضا، كما هي حالة فؤاد عفاني الذي يبدي ارتياحا إلى "أفق الانتظار"، لكن دون أن يمنع ذلك من استخدامه مصطلح "أفق التوقع"⁶¹، وحالة هشام مطاوع الذي يهاجم ترجمة المصطلح إلى "أفق الانتظار"، لكنه يلجأ إليه ذات مرة في رسالته⁶²، وإذا كان من الممكن عدّ مثل هذه الحالات من قبيل سبق القلم؛ فإن هذا لا ينفي ما أقصد إليه، من حيث الكشف عن الآثار الضارة لظاهرة تعدد المصطلحات العربية

الدالة على مفهوم غربي واحد. تتجلى الظاهرة أحيانا أخرى في التبرع بإحداث هذا الخلط في النصوص المقتبسة الشاغرة عنه، وأشار إلى حالة محمد المبارك عندما ينقل عن الترجمة رعد جواد هذا النص: "الأفق أو أفق التوقعات أو الانتظار يقعان ضمن مجال عريض من السياقات"⁶³، الذي تبين بمراجعته أنه يخلو من لفظة الانتظار!⁶⁴ الأعجب من هذا أن تخلف بعض الكتابات لدينا شعور بانتساب لشخصين منفصلين، أحدهما يقوم بالشرح ونثر الأفكار والآخر بالترجمة ونقل النصوص، وأشار إلى عبد الناصر حسن الذي يعنون مبحثا بـ "أفق التوقعات" ثم يحدثنا في إحدى فقراته المترجمة لبلاوس عن "أفق الانتظار"⁶⁵، وربما تكون حالة عبد الناصر أخف وطأة من حافظ علوي، بما أن الأول منهما ينتقل بين المصطلحات في غير موطن، في حين أن الآخر يبدو ملتزما أثناء عرض الأفكار بمصطلح "التوقع" وأثناء الترجمة بمصطلح "الانتظار"⁶⁶؛ وأخشى أن يكون سبب ذلك ليس راجعا إلى الخلط وحده، وإنما كذلك إلى الاعتماد على جهود الآخرين؛ إذ تسوقنا صياغة الترجمة عند عبد الناصر إلى ترجمة شبيل⁶⁷ وتسوقنا صياغة الترجمة عند علوي إلى دراسة بوحسن.⁶⁸ من الغريب كذلك ألا تقف ظاهرة التذبذب عند حدود الدراسات بل تتسلل إلى بعض الترجمات، وأسوق مثلا على ذلك ترجمتي: عبد العالي مريني وغسان السيد؛ ففي الأول يجتمع المصطلحان في المتن، ويعمد المترجم إلى كتابة مصطلح "التوقع" بين معقوفين بعد مصطلح "الانتظار"⁶⁹، وفي الثانية التي ألمحت إليها آنفا نلتقي عنوانا فرعيا هو "مفهوم أفق التوقع"، ويستمر المترجم في توظيفه، لكنه يفاجئنا في آخر هذا المقطع استخدام مصطلح: "أفاق الانتظار".⁷⁰

إذا توخينا الدقة ورمنا في آن تلطيف هذه النبرة المتشائمة، فيمكن استثناء بعض المحاولات المحدودة التي ينبغي تشجيعها وتعزيزها، لكنني أتجوز في تسميتها محاولات؛ لأن أكثرها يعود إلى فقرة للسوري عبده عبود، داخل دراسته المشار إليها مفتتح هذا الفصل، وجاءت تعليقاته على هذا المصطلح في سياق التعقيب على ترجمتي سعيد علوش وبسام بركة؛ يقول عبود:

"من الملاحظ أن المترجمين كليهما قد اتفقا على تعريب مصطلح رئيس ثالث هو (Erwartungshorizont) بـ "أفق الانتظار"، وهي الترجمة العربية للمفهوم الفرنسي (Horizon d'attente)، وفي رأينا فإن المترجمين قد جانبا الصواب في ذلك، بسبب عدم معرفتهما الصورة الأصلية، أي الألمانية، لهذا المفهوم المؤلف من كلمة مركبة من اسمين هما: (Erwartung)؛ مشتق من فعل (erwarten) لا من فعل (warten)، علما بأن الفعلين مشتقان من جذر واحد، والفرق بينهما مقتصر على مقطع (er-)، إلا أن الفارق الدلالي واضح وغني عن الشرح. ولكن ذلك الفرق قد فات ناقل كلمة (Erwartungshorizont) من الألمانية إلى الفرنسية، فوقع في خطأ ترجمي واضح، ثم جاء المترجمون العرب الذين يتخذون الفرنسية لغة مصدر وأخذوا بهذه الصيغة الخاطئة. أما الترجمة الصحيحة فهي أفق التوقع أو أفق التوقعات.⁷¹

يكتسي هذا المقتبس الفائت أهمية خاصة في مسار هجرة النظرية؛ فهو، في حدود اطلاع الدراسة الراهنة، أقدم نص يتوافر على ممارسة نقدية مشغلة بالجهود السابقة في نقل المصطلح الفلسفي؛ على أن ذلك ليس يقتضي أن نتلقاه باسترخاء، بل على العكس من ذلك ترشحه هذه المكانة إلى المثول أمام نظرات التأمل والتمحيص. إن أول ما ينبغي التوقف عنده هو أن النص ينطلق من قناعة صاحبه بحجة الفارق الدلالي بين الفعلين الألمانيين المشار إليهما، مستندا في هذا، كما يشير الهامش المخصص لهذه البيانات⁷²، إلى معجم (Götz Schregle). المحرض على هذه الوقفة هو أن القارئ إذا رام مشاطرة عبود القناعة بتلك الحجة، وفق الطريقة التي يرشدنا إليها، فلن يعود إلا بنتيجة متعادلة مع نتيجته؛ إذ سيقبل صفحات هذا المعجم ليجد الفعل الألماني (erwarten)، موضوعاً أمامه هذه المعاني: انتظر، توقع، ترقب⁷³، ويستمر في التقليب حتى يلتقي الفعل الألماني (warten)، الذي وضعت أمامه معاني عديدة، أشير منها إلى: انتظر، تطلع إلى، تحين، ترقب، تربص!⁷⁴ وهي معطيات سنقحمه في حيرة لا تستنفذه منها معرفته أن هذا الفعل الأخير لازم يحتاج في ممارسة هذا الدور

إلى حرف الجر (auf)، بخلاف الفعل (erwarten) الذي يتوصل إلى المفعول بدون حرف جر؛ لأن هذا نفسه قد يأتي على الحجة الثانية المتمثلة في الاستناد إلى مقطع (-er)، ويظهر ذلك إذا تبيننا تفسيراً وظيفياً نحويًا يكاد يحصر دور التغير الصرفي، الذي يحدده هذا المقطع الأمامي (Vorsilben) أو ما يعرف بالبادئة، داخل إطار السعي لمكافأة الفعل المتعدي في حراكه داخل الجملة.⁷⁵

في فض هذا التداخل لا يمكن التعويل فقط على ما تمنحنا إياه المعاجم التأثيلية، التي تخبرنا عن التاريخ القديم للفعل (warten)، المتصل بمجالات مثل: الرعاية والتمريض والصيانة، أو الخدمة بصورة عامة؛ أو الاسم (wartung) الذي يحيل مباشرة على دلالات المحافظة والصيانة والإعالة الموجهة لشخص أو لشيء؛ لأن هذا يعد تهريبا من موطن النقاش الحقيقي الذي يوجبه ما هو مذكور في هذه المعاجم نفسها، من أن هذا الفعل في رحلة تطوره قد استخدم ليحيل على معنى الفعل الآخر (erwarten)⁷⁶، وأن هذا الفعل الآخر بدوره يستخدم داخل بعض السياقات معادلاً للفعل الأول في المعنى.⁷⁷ لا يمكن هنا أيضاً الاستناد إلى فكرة أن المتكلم الألماني قد تعود استخدام الفعل الأول أو مشتقاته في تعبيرات ألف القارئ العربي إحالتها على الانتظار⁷⁸؛ لأن مثل هذا الإجراء سيزيد حيرتنا عمقا واتساعا، بالكشف في الجهة المقابلة عن عبارات درج المتكلم الألماني على استخدام هذا الفعل أو ذاك في تكوينها، على نحو يشعر أحيانا بذوبان الفروق الدلالية أو الوظيفية بينهما، ومن ثم ألف القارئ العربي في ترجمة بعض هذه العبارات دلالة "الانتظار" وألف في أخرى دلالة "التوقع" دون أن يعبأ بفروق بين الفعلين الألمانين، ولا بالصورة الأصلية للنص المترجم.⁷⁹ إن عبارات كثيرة تحمل الفعل (erwarten) أو مشتقاته تتأبى الدائقة العربية، في مستويي الترجمة والتداول، على تقبل الدلالة فيها، حتى إن كان يسعها الانشراح أحيانا بتلمسها في هذه التعبيرات دلالات: الأمل أو التطلع أو الشغف أو الشوق، وهي على أية حال بعض دلالات تخبرنا المعاجم المتخصصة أن الفعل يتضمنها.

على أن ذلك ينبهنا، بصورة ما، على أن الإشكال لا ينجم فحسب عن التداخل الكائن هناك في لغة "المصدر": اللغة الألمانية، بل يغذيه أيضا التداخل المتوافر في لغة "المصب": اللغة العربية، لاسيما في حلتها المعاصرة الحافلة بالسياقات تجلي فعل الانتظار مُشَمًّا بدلالات التطلع إلى شيء وتمنيه أو أحيانا تخمينه وتوقعه، ولذا كنت حريصا في الفقرة السابقة على توجيه الحديث إلى الذائقة العربية لا إلى المتن المعجمي العربي، أو بعبارة أخرى: إلى الصدى الناتج عن النصوص المتحركة لا الساكنة. لكن مع هذا فإن مراجعة هذا المتن المعجمي نفسه وما يتصل به من كتابات، سيشعرنا بما بين "الانتظار" و"التوقع" من وشائج قديمة، ربما لولاها لم يكن لهذا التداخل الذي نتفحصه أن يعرف طريقا إلى الوجود، على سبيل التمثيل يعمد قدامة بن جعفر (ت: 337 هـ) إلى ضمهما تحت باب واحد في كتابه: "الألفاظ الكتابية"، المؤسس على فكرة قريبة المنزع من فكرة الحقول الدلالية، يقول قدامة في هذا الباب: "مازلت أنتظره وأتوكفه وأراعيه وأترقبه وأرصده وأتوقعه وأرجوه وأمله"⁸⁰؛ لتبرز علاقة سوف يرفع رتبته في وجداننا كما يحكم عراها بعض المعجميين، حين يعوزهم شرح إحدى اللفظتين وتقريب مدلولها إلى اللفظة الأخرى؛ يقول الجوهري (ت: 393 هـ): "توقعت الشيء واستوقعته أي انتظرت كونه"⁸¹، ويقول ابن سيده (ت: 458 هـ): "توقع الشيء واستوقعه: تنتظره وتخوفه"⁸²، ويقول ابن المنظور (ت: 711 هـ): "التوقع تنتظر الأمر. يقال: توقعت مجيئه وتنتظرته. وتوقع الشيء واستوقعه: تنتظره وتخوفه"⁸³.

تسوقنا هذه القضية إلى الحجة الأخيرة المذكورة في نص عبود المقتبس آنفا، وأقصد إشارته إلى الدور المضلل الذي قامت به الترجمة في اللغة الوسيطة: الفرنسية، أثناء شرحه لنشأة مصطلح "أفق الانتظار" وإبانتته عن قصور إحاطته بالمفهوم، وهو أمر سيردده البقاعي وأيضا غسان السيد دون أن يقترح علينا أحد منهما، وهما المترجمان عن هذه اللغة الوسيطة نفسها، ترجمة فرنسية بديلة تليق بالمصطلح الألماني. قد تكون الترجمة لكلمة (Erwartung) هي الكلمة الفرنسية (espérance) التي تحمل معنى الأمل والرجاء، أو الكلمة

(anticipation) التي تحمل معنى الحدس والتخمين⁸⁴، أو غير ذلك من كلمات بديلة لا ينبغي أن يشغلنا كثيرا أو قليلا تتبعها، بما أن هذا الجهد كان يمكن تبريره إذا ثبت فعلا خطأ الترجمة الفرنسية (attente)، على حد هذا الرأي، وهو شيء لا سبيل إلى إثباته، بل ربما يمهّد الطريق أمامنا لإثبات ضده؛ لأن هذه الكلمة الفرنسية المنقولة عن اللاتينية (attendita)، كما فعلها (attendre) المنقول هو الآخر عن اللاتينية (attendere)، قد استخدمت تقريبا منذ أواخر القرن الحادي عشر للتعبير عن دلالات متعددة تشمل الانتظار والتوقع كليهما، ولذا كان من الطبع أن نجد في المعاجم معادلة للكلمات الألمانية (Erwartung) و (Erwarten) و (Warten)⁸⁵، وأن نتابعها وهي تسهم في تكوين جمل و عبارات ألف الفارئ العربي إحالتها على "الانتظار" تارة وعلى "التوقع" تارة أخرى.⁸⁶ إن الكلمة الفرنسية إذن تمدد حالة التداخل لا تنشأ؛ إذ أطلت نظيرتها علينا في اللغتين الألمانية والعربية، وهو ما يحول بيننا وبين تلوم المترجم في اللغة الوسيطة، ويدفعنا لتوجيه اللوم، إن كان ضروريا فعل ذلك، إلى المترجم العربي وحده، الذي انجذب في استقباله للكلمة الفرنسية إلى معنى ذائع مباشرة من معانيها، دون تقصي سياقاتها المتنوعة، ودون محاولة ضبط بوصلته حذو ما تتبناه السياقات الأصلية.

في ضوء ما تخبرنا به المعاجم التأثيلية؛ فإنه يمكن مماثلة المسافة بين فعلين (warten) و (erwarten) بالمسافة الكائنة بين حافة يقع عندها الفعل (schauen) بمعنى رأى أو أبصر، وحافة أخرى يقع عندها الفعل (beschauen) وفعل (ausschauen)، حيث الإحالة على دلالات الكشف والفحص والتفتيش والتنقيب والترقب.⁸⁷ لذا يمكن القول إن ارتحال المرء بين هاتين الحافتين رهن تحول انتساب الفعل الصادر عنه، من قوة مدركة إلى أخرى مختلفة عنها في الرتبة، وأقصد من الحواس إلى العقل أو العكس، وعليه يتبين أنه يلزم المرء، إذا أراد الفكك من تلبسه بالفعل (warten) إلى الفعل (erwarten)، أن يفسح المجال أمام نشاط الوعي؛ لأن الفعلين ولو كانا بديان على صنيع الراهن ذي علاقة بما سيحدث مستقبلا؛ فإن الثاني منهما يتحقق، فيما

تسمى المعاجم، حين تنطلق طاقة التخيل (*Vorstellung*).⁸⁸ يترسخ هذا الفارق، من جهة أخرى، بمعاينة حالة الشخص المتواعد مع صديقه على اللقاء، بعد أن يستولي عليه شعور اليأس من مجيئه؛ فإنه يكف تلقائيا عن ممارسة الفعل الثاني، بينما يكون في مكانته مزاوله الأول إن أراد ذلك. وبالاستناد إلى هذه البيانات سنفهم حديث فولكر هارم (*Volker Harm*) عن خلو الفعل الأول من الاحتمالية أو الأرجحية (*Wahrscheinlichkeit*)، التي تعد مكونا دلاليا رئيسا من مكونات الثاني، ويظهر ذلك حين تضعنا جملة الفعل الثاني دائما أمام موضوع يتصف تحققه بأنه احتمال أو شيء مرجح. إلى هذا يذكر فولكر أن الفعل الثاني لا يدخل في تركيب الجملة ليزودنا بمعلومات عن مدة الزمنية المستغرقة، بينما يقبل الفعل الأول القيام بهذا الدور.⁸⁹ لا يبلغ التداخل بينهما إذن حد التماهي أو الشراكة في المعاني كلها، ويتأمل السياقات ربما أمكن إضافة أن الفعل الأول يتفرد بالإحالة على التلث والإرجاء. وفيما يتصل بالمستوى الصرفي تجدر أخيرا معرفة أن الاسم المشتق من الفعل الآخر غالبا ما يجيء في صورة الجمع: (*Erwartungen*)، إذا كان المراد منه دلالات الافتراض أو التنبؤ أو التخمين.

الآن يحين دور العدسة المعنية بتفحص الحضور المعجمي للمصطلحات المقترحة: "التوقع" و"الانتظار". أكبر الظن أن فاصل الفقرات لم يكن كبيرا لينسينا حالة التداخل بين المصطلحين، ولذا فمن الضروري الآن أن نتسع الحديقة قليلا لتحيط باللفظ والألفاظ المشتقة عن جذرها، كما الدلالة مباشرة والدلالات المصاحبة لها، في سبيل فض هذا التداخل بتحسس الفروقات بينهما ونقاط التجافي. سيكون من المتاح بحسب هذا الإجراء التقاط بعض الدلالات المميزة أثناء معاينة المصطلح الأول، يعيننا منها بصفة خاصة الإحالة على التظني والتوهم والتقدير؛ يقول الجوهري: "والتوقيع أيضا تظني الشيء وتوهمه. يقال وقع أي ألق ظنك على الشيء"⁹⁰، ويقول ابن سيده: "أوقع ظنه على الشيء ووقعه: قدره و أنزله."⁹¹ أما المصطلح الآخر فتميزه الإحالة على دلالات التمهّل والتأخر والتوقف؛ ونبدأ هنا مرة أخرى بقدامة بن

جعفر الذي يقول في كتابه: "انتظر حتى تنقضي هذه الفورة، و تنصرم هذه الوهلة، وتمضي هذه الحزة..."⁹²، ويقول الجوهري: "أنظرته أي أخرته، واستنظره أي استمهله، وتنتظره أي انتظره في مهلة"⁹³، ويقول الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)⁹⁴: والنظر الانتظار. يقال: نظرته وانتظرته أي: أخرته. ويقول ابن منظور مفصلاً ومستلهما سابقه: "النظر الانتظار يقال نظرت فلانا وانتظرته بمعنى واحد، فإذا قلت انتظرت فلم يجاوزك فعلك فمعناه: وقفت وتمهلت، ومنه قوله تعالى: (انظرونا نفتبس من نوركم)، قرئ انظرونا وأنظرونا بقطع الألف، فمن قرأ انظرونا بضم الألف فمعناه: انتظرونا، ومن قرأ أنظرونا فمعناه: أخرونا، وقال الزجاج قيل معنى أنظرونا أنتظرونا أيضاً ومنه قول عمرو بن كلثوم: أبا هند فلا تعجل علينا * * * وأنظرنا نخبرك اليقينا وقال الفراء تقول العرب أنظرني أي انتظرني قليلا، ويقول المتكلم لمن يجعله أنظرني أبتلع ريقى أي أمهلني."⁹⁵ ومن المؤكد أننا بحاجة هنا أيضا إلى الدلالات التي يمكن استخراجها لكلا المصطلحين من العبارات المترجمة المشار إليها آنفا.

لم يبق سوى خطوات السبر والاستبعاد والاختيار. ومع أن الدراسة الراهنة حاولت جهدها أن تتحاشى الحكم، ولو إيجاباً، على أي من المصطلحين المقترحين، فإني أحسب أن المتأمل في هذه المعطيات، أو لنقل الحثيثيات، التي منحتنا إياها لن يجد معدى عن استبعاد "أفق الانتظار" واختيار "أفق التوقعات"؛ لا لأن الفعل العربي "توقع" يكافئ الفعل الألماني (erwarten)، فقد ظهر أن الدلالات التي يشير إليها الفعل العربي، لاسيما في توظيفه القديم، لا تطابق دلالات الفعل الألماني بحذافيره، ولا لأن الانتظار يخاصم كلية التوقع، فقد تجلّى أن كليهما، خاصة داخل السياقات المعاصرة، يجلبان بدلالة مشتركة هي التنبؤ بشيء مستقبلي محتمل⁹⁶؛ وإنما الشأن في جدارة هذا المصطلح المختار وقابليته لحمل المفهوم الذي يرشد إليه نظيره الألماني. يقف وراء ذلك سببان رئيسيان: الأول يتعلق بما يتصف به إثباتاً؛ إذ تستدعي لفظة التوقعات منذ قديم دلالات التظني والتوهم والتقدير، وتستخدم بصورة متواترة في اللغة العربية المعاصرة للإحالة على الأرجحية أو

الاحتمالية، وهو ما سوف تتبصر به عمليات شرح المتصور الغربي الذي يحيل على فعل الوعي المستوعب المتجه نحو الحدس والتخمين. أما الأمر الآخر فيتعلق بما يتصف به نفيًا؛ إذ يتنزه عن استدعاء دلالات، التوقف أو التمهّل أو التأخر التي تحيل على مجال ساكن يتعاند ودلالات التوثب والتنامي والتغير التي يرشد إليها المصطلح داخل نسقها.

وبهذا تظهر الأسباب التي توجب استبعاد مصطلح "أفق الانتظار" وإطراحه، إذ إن الانتظار، ولو تذرّع بدلالته على التوقع، يبدي انشراحاً في تعبيره عن أفعال الحواس يفوق انشراحه في التعبير عن أفعال الوعي، كما أنه يستدعي بصورة تلقائية هذه الدلالات التي كان التنزه عنها سبباً من أسباب اختيار مصطلح "أفق التوقعات". وإذا كان يمكن الاستئناس ببعض العضادات التي تنقل ميزان هذا المصطلح المختار، دون أن تنهض مستقلة مبررات لاختياره، وأخص منها أن المتكلم العربي ألف استخدام صيغة الجمع من التوقع: التوقعات، في حين لم يلجأ إلى ذلك في لفظة الانتظار، وأنه درج أيضاً على استخدام الفعل انتظر دون الفعل توقع في الجملة المعنية بمنحنا بيانات عن المدة الزمنية المستغرقة. وبكلمات محتاطة تسعى إلى نتيجة يمكن الاطمئنان إليها: إن الأبواب موصدة في وجه "أفق الانتظار"؛ بسبب استدعائه دلالات تذبذبها النظرية، في حين تنفتح أمام "أفق التوقعات" كواء فسيحة بمكنته التسلسل منها إلى عالم التداول بصورة صحيحة، شريطة إدراك أنه، لعدم تطابقه التام مع المصطلح الوافد، لا يزال في حاجة إلى توسيع أوعيته ومد أطنايه ليشمل مفردات المتصور الغربي دون إخلال، وهو ما يقع عبء القيام به على جماعة المترجمين والدارسين.

في ترجمة رشيد بنحدو المنشورة تحت عنوان: "جمالية التلقي"، سوف يقف القارئ اليقظ متسماً أمام هذا الاسم الأجنبي الغريب: "زاينسكيشيبين Seinsgeschehen"، نقول ترجمة بنحدو:

" فحين يتم تصور الفهم - كما عند زائنسكيشيين Seinsgeschehen وهيدجر Heidegger من حيث كونه "اندماجاً في سيرورة تقليد يكون فيها الحاضر والماضي في علاقة وساطية دائمة"، فإن "عامل الإبداعية الملازم لفعل الفهم" يتحول حتماً إلى صفر".⁹⁷

لن يستسلم القارئ المهتم لإكراهات جهله بهذا الاسم، التي تحرضه على اتهام المترجم أو المطبعة، وأكبر الظن أنه سيسلك الدروب المعهودة في التتقيب عنه، ولن ينسى أثناء ذلك أن يتخذ مداخل شتى وبقيم على خطواته مراصد متنوعة، من تأمل علاقة هذا الاسم بهيدجر، واندراجه في سياق الحديث عن الفهم والتقليد، وكون الإحالات في هذه الفقرة تشير إلى جادامر، وأخير تجريب صورته الأخرى المذكورة في الملحق "زائنسكيشيين". لكن المؤكد في كل هذا أنه لن يرجع بشيء سوى التيقن من ضرورة الاعتصام بالنسخة الألمانية الأصلية، التي تقول:

« Wo in Wahrheit und Methode Verstehen - analog zu Heideggers Seinsgeschehen - als Einrücken in ein Überlieferung Geschehen, in dem sich Vergangenheit und Gegenwart Beständig Vermitteln, begriffen wird, muß das produktive Moment, das im Verstehen liegt zukurzkommen ».⁹⁸

هنا فقط سيتفطن القارئ عن الاشتغال العبثي بهذا الاسم الوارد في ترجمة بنحدو، ويكتشف فداحة الخطأ المركب الذي انزلت فيه، وسوف أشرح ذلك بصورة تدريجية تظهر طبيعته تلك؛ وأبدأ بالإشارة إلى أن قارئ المقتبس الألماني الفانت لن يجد ذكراً لهذه الكلمة التي أوردها بنحدو، وإنما سيجد كلمة قريبة "Seinsgeschehen"، وإلى ذلك فلن يجدها معطوفة على الكلمة السابقة لها، وإنما مضافة إليها، ويشي عن ذلك بصورة أولية رتبته في تركيب الجملة الألمانية المتسم بالصرامة، كما يؤكد بصورة يقينية حرف S الملحق بالاسم السابق "Heideggers"، وبقليل من التدبر سيعرف أن هذه الكلمة نشأت، كما هو شأن في الألمانية، عن التصاق كلمتين: الأولى: (Sein) اسم من

فعل بمعنى: يكون، والأخرى: (Geschehen) اسم من فعل بمعنى: حدث أو جرى أو وقع، وبهذا يغدو ذهن القارئ متهيئاً أخيراً لفهم القران بين الفيلسوف الألماني هيدجر وهذه الكلمة، إذا أخبر أن ما كان يحسبه إلى الآن اسماً لعلم من الأعلام، مجارة للخطأ الترجمي الفاحش، ليس في الوقع سوى أحد أهم مصطلحات هذا الفيلسوف! لابد أن الشغف بكشف العلة في هذا الخطأ قد تملك القارئ، ولعله يتمكن من معالجته إذا حانت منه التفاتة إلى ترجمة كلود ميار الفرنسية⁹⁹، إذ يجد فيها المصطلح الألماني مكتوباً بصورة غير واضحة، وبتوصيف دقيق: لقد استحالَت قاعدة الحرف المائل (h) إلى ما يشبه الدائرة، ليطل علينا مجدداً الزعم بالتطابق. السبب المركزي أنها قد بثت في مقدمتها وعودا بشأن ربطها المفاهيم بأصولها المعرفية، لتذليل تعقد الجهاز المفهومي للنظرية، يقول بنحدو: "ومما ساعدني على تذليل هذه الصعوبة هو اضطراري إلى ربط هذه المفاهيم بأصولها الإبيستمولوجية... ثم إن استشارتي أحيانا للمؤلف قد بددت كثيراً من اللبس المكتنف لمفهومات بعينها ذات صلة وثيقة بالتقليد الألماني خاصة"¹⁰⁰.

من المتوقع أن نلقى محاولات ترجمة عديدة لنقل المفهوم الهيدجري عن Seinsgeschehen، شأنه شأن الجهاز المصطلحي المركزي الذي ينتسب إليه، وتحديدًا محاولات لنقل مفهوم الشق الثاني منه Geschehen، لأن الفيلسوف يتصرف في معناه المعجمي المباشر، موظفاً ما تلمسه الأذن الألمانية من صلة بينه وبين كلمة التاريخ (Geschichte)، ولذا سوف نقابله مترجماً في الإنجليزية إلى: (occurrence) (happening) (historicizing) ونقابله مترجماً في الفرنسية إلى: (accomplissement) و (provenir)، في حين نجد ما يشبه الاتفاق على ترجمة (Sein) في الإنجليزية إلى (Being) وفي الفرنسية إلى (l'être). ومن هنا نشأت محاولات شتى لنقله إلى العربية، أتبنى منها صيغة: "حدوث الكينونة"¹⁰¹، مع الإقرار أنها صيغة لا تؤدي المعنى بدقة، بما يلجئ غالباً إلى شرح المقصود منها داخل نسقها الفلسفي، ولعل من الأليق أن اقتصر الآن على الحديث عنها في سياق الاشتغال بقضية الفهم. ويعالج هيدجر "الفهم" من

منظور أنطولوجي، فلا يتجلى في كتاباته بصفته حالة معرفية، وإنما نمطا لحدوث الدازين (Dasein) الملقى به في العالم نحو ما يمكن أن يكونه؛ أي من حيث القدرة الأصلية على كينونة-الهناك، والشروع على إمكانات كينونته الخاصة، ولذا فإنه يتجلى من هذا المنظور بصفته تزمنا (Zeitigung) للمستقبل؛ وفي هذا السياق ينبغي الاحتراز من الدلالة الإستاتيكية لمصطلح "الحدث"، إذ يندرج بالأساس للتعبير عن حركية الدازين وتمدده واستمراره، وفقا لتصور هيدجر عن ظاهرة "ترابط الحياة" (Zusammenhang des Lebens) يقول: "نحن نسمي الحركية الخاصة للامتداد الممتد لأنفسنا: حدوث الدازين. إن السؤال عن ترابط الدازين هو المشكلة الأنطولوجية لحدوثه".¹⁰²

ولئن كان جادامر، الممثل البارز للتأويلية الفلسفية¹⁰³، لا يتطابق مع هذا التصور بحذافيره، فإنه أثناء حديثه عن "الكلاسيكي" خلف صورة مؤداها قدرته على ديمومة التحدث إلينا وتجاوز مسافته الزمنية بذاته، كما وظف الوعي التاريخي لتكثيف الفهم الذي لا يشكل فعلا للذاتية (subjektivität)، بقدر ما يشكل انخراطا في عملية حدوث التقليد، هذه العملية التي يتواسط فيها بصفة مستمرة ومتصلة الماضي والحاضر¹⁰⁴، وإذ يعتقد ياوز، بالاعتماد على أطروحة جادامر نفسه عن منطق "السؤال والجواب"، أن النصوص لا تقول شيئا إلا عندما يمتلك قارئها الأسئلة التي تجيب عنها، فقد كان مرتقبا أن تستثيره رؤية جادامر عن "الكلاسيكي" و"الفهم" كما مر بنا في الفصل الأول، وتدعوه من ثم إلى إقامة صلة بين جادامر وهيدجر، أودعها في جملته الاعتراضية التي شوهتها الترجمة، وتأسيسا على ذلك يمكن أن أعيد ترجمتها فيما يلي:

"إلى الفوت حتما تنتجه اللحظة المنتجة القارة في الفهم، عندما يصور في كتاب الحقيقة والمنهج (جادامر) - قياسا على حدوث الكينونة عند هيدجر - بصفته انخراطا ضمن "حدث لتقليد"، يتواسط فيه الماضي والحاضر دائما".

يقف الأمر عند هذا الحد، لأن المصطلحات المساعدة الموظفة لتقريب مفهوم "أفق التوقعات" تبدو في ترجمتها العربية نشازا عن نظريته موهلة في البعد عن متناول القارئ العربي، وإلا فماذا عساه يفهم إذا أخبره ناقد أن "أفق التوقع" هو نسق الإحالات القابل للتحديد الموضوعي؟ أو عرفه له بكونه "تماكنا جدوليا يتحول كلما امتد الخطاب إلى أفق نسقي محايث للنص"؟ وإذ إن المترجم، أي مترجم، قد يضطر أحيانا للتمسك بالمصطلح الأكثر دقة مهما بدا غريب الوقع أو ضعيف الصلة، فسوف أقترض الآن، في سبيل الحجاج، أن هذه الترجمات هي الترجمات الدقيقة التي لا بديل لها، لأتمكن من القول إنه دائما ما يتبقى في دخيلة المترجم، لهذا السبب ذاته، شيء تنشرح الحاشية باحتضانه دون المتن الضنين، وهو ما يكشف لنا في الأخير عن غياب دور المترجم في تقريب المصطلحات ومفهوماتها، وعن تغييب الدور المأمول الذي كان من الممكن أن تقوم به الحاشية. ليس يرد على ذلك أن الاقتباسات الفائتة قد اقتطعت من سياقاتها التي ستقتق معناها الكامن أو تظهر دلالتها الغامضة، ولنجرب في سبيل التأكد من هذا قراءة النص الكامل الوارد في ترجمة بنحدو:

"فإذا عرفنا أفق التوقع، الذي يأتي النص ليندرج فيه، بكونه، بتعبير ف.د شتمبل W.D Stempel، تماكنا جدوليا" يتحول كلما امتد الخطاب، إلى أفق توقع نسقي محايث للنص"، فإن بالإمكان وصف سيرورة التلقي بكونها انتشارا لنسق سيميولوجي يتم بين قطبي تطور النسق وتعديله. كما أن علاقة النص المعزول بالجدول، أي بسلسلة النصوص السابقة المؤلفة للجنس تتم كذلك وفق سيرورة مماثلة قوامها الدائم هو خلق أفق توقع وتعديله." ¹⁰⁵

سأكرر السؤال ثانية: ماذا عساه القارئ العربي يفهم من هذا؟ لقد تعمقت أزمته بما أضاف إليه من مصطلحات جديدة، ينبغي إن كان يعنيه الأمر أن يشرع في رحلة بحث عنها هي الأخرى. إن الالتجاء هنا إلى النص الألماني قد يسهم في حل هذه الأزمة، لأنه ينبهنا إلى قضية أخرى تحتاج إلى وقفة، وهي تصرف المترجم في التركيب والدلالة، للدرجة التي أظهرت التخاصم بين النصين: الأصلي والمترجم، وقد

تكون الترجمة الفرنسية الوسيطة هي السبب في ذلك، على أن التعلل بهذا لن يسري عن القارئ شيئاً، بعد أن انسدت أمامه طرق الفهم. يقول الأصل الألماني:

« Bestimmt man den vorgängigen Erwartungs horizont eines Texte smit W. D. Stempel als paradigmatische Isotopie, die sich in dem Maße, wie die Aussage anwächst, in eine nimmanenten, syntagmatischen Erwartung shor der Expansion eines semiologischen Sustems beschreibbar, die sichzwischen Systementfaltung und System korrektur vollzieht. Eminent sprechende Prozess Fortgesetzter Horizontstif tung und Horizont veränderung bestimmt auch das Verhältnis von einzelnen text zur gattungs bildenden Text reihe».¹⁰⁶

بنظرة مقارنة يتبين أن الترجمة أسقطت الصفة الخاصة بـ"أفق التوقعات"، وهي صفة vorgängigen ويمكن ترجمتها إلى: السابق أو المسبق، وهي صفة ضرورية لضبط فهمنا لأطروحة شتمبل وياوس كليهما، بما أنهما معنيان هنا بتقصي ما سيحدث للأفق من تعديل وتصحيح، وهي مهمة لا يمكن الشروع فيها إلا بتحديد نقطة بدء افتراضية، وفضلاً عن ذلك يعسر غياب هذه الصفحة تحسس المنظور التأويلي الذي يحتكم إليه ياوس في ترسيم الفصل الإجرائي بين أفقين: أفق أولي لتلقي النص، يقع فيه الإدراك الجمالي للقارئ، ويبرز أثناءه فعل النص، وأفق لاحق يشمل "الاستيعاب التأويلي" (interpretieren de Rezaption)، ويبرز فيه فعل القارئ بالاستناد إلى الأفق السابق. تلقينا في الترجمة العربية "سيرورة التلقي بكونها انتشاراً لنسق سيميولوجي"، في حين أن النص الألماني يلجأ في هذا الموطن إلى الكلمة الإنجليزية Expansion التي تلائم التوسع والتمدد لا الانتشار، خاصة فيما ينتسب للنسق السيميولوجي، مهما كان بمقدورنا أن نرقب إحالة لفظة "الانتشار" داخل بعض السياقات على الاتساع والانبساط؛ يذكر النص الألماني أيضاً حرف الجر « in » الذي يمكن ترجمته هنا إلى: "في" أو إلى: "داخل"، ليصير المعنى: أن عملية "الاستيعاب"

(أو التلقي بحسب بنحدو) ستصير قابلة للوصف داخل ما سيجري للنظام السيميولوجي من توسع، وهو ما يتعاند تماما مع المعنى الذي ذهب إليه بنحدو؛ إذ أفهم القارئ أن سيرورة التلقي هي الانتشار عينه للنسق السيميولوجي. الموطن الأخير الذي يحدث اضطرابا هو قولها "علاقة النص المعزول بالجدول"؛ إذ لعله ينشأ سؤال عن هذه الباء، وأبادر إلى تخفيف العبء عن القارئ، لأن كلمة "الجدول" غير موجودة في الأصل الألماني، وإنما يتحدث الأصل عن النص الموصوف بأنه «*einzelnen*»، وتترجم هنا إلى: "المفرد" لا "المنعزل"، وعلاقته بسلسلة النصوص المكونة للجنس الأدبي، ومن ثم فلا محل لإيراد كلمة "الجدول" ثانية، بعد أن مضت في وصف أفق التوقعات.¹⁰⁷

ولنصنع الأمر نفسه مع مفهوم "التحيين" (*Aktualisierung*)، وهو مفهوم من المفاهيم المركزية أيضا لدى فلاسفة التأويل، ومع هذا فإنه يعاني في ترجمة بنحدو من أزمة كبيرة، لن يستطيع قارئ أن يفلت من شركها إلا إذا أب إلى الأصل. وتوضيحا لذلك نضع في البدء هذا النص المترجم أمام أعيننا:

وينبغي هنا إيضاح مفهوم الترهين أو إعادة الترهين. فلا أعني به لا التحديث الساذج الذي يجعل أسلوبا قديما مناسباً للذوق الحاضر بتلبيسه حلة عصرية ولا قفزة النمر داخل الماضي المشهورة التي حدد بها ف. بنيامين *W. Benjamin* علاقة الثورة باستمرارية التاريخ. إنني أعني به اختيارا واعيا وصريحا لصورة ما من الماضي، مع رفض كل ما من شأنه الاعتراض بينها وبين الحاضر الذي يلزمها أن تبنيه وأن تبرره بما هو تجديد.¹⁰⁸

"الترهين بحسب بنحدو هو عين ما أترجمه إلى "التحيين"، وإذا كان من المجدي ألا نتوقف عند هذا الاختلاف الترجمي، بما أن المسألة على أية حال تظهر هنا بصفقتها اجتهدا؛ فمن المهم أن أفصح عن السبب الذي دفع بي إلى تحاشي مصطلح "الترهين"، وهو باختصار ما تحيل عليه هذه الكلمة من دلالات الثبات والحبس والقيّد،

وغيرها مما يضيع معها أصل الفكرة التي يرمي إليها النص. حتى الآن إذن لم تشخص الأزمة بعد، لكنها تتكشف إذا وضعنا هذا النص المترجم أمام النص الألماني، وقبل أن أشرع في ذلك، ينبغي استخلاص أن ترجمة بنحدو العربية وضعت القارئ أمام نفيين وإثبات: نفي أن يكون المقصود من "الترهين" هو التحديث الساذج، ونفي أن يكون مفهومه مطابقاً لمفهوم "قفزة النمر داخل الماضي"، وإثبات أن مقصود النص منه هو الاختيار الواعي والصريح لصورة ما من الماضي إلى آخر ما قال المقتبس السابق. ولنضع الآن الأصل الألماني أمام أعيننا:

« Ich meine damit weder die naive Modernisierung, die einem gegenwärtigen Geschmack zuliebe ein altes Sujet in ein modernes Gewandsteckt, noch die berühmten « Tigersprung ins Vergangene », mit dem W Benjamin das revolutionäre Verhältnis zum Kontinuum der Geschichte : die dezidiert, alles Dazwischen negierende Wahleiner paradigmatische Vergangene nheit zur Legitimation gegenwärtigen Neubeginn, erläutert hat. Im Bereich...»¹⁰⁹

النص الألماني هو الآخر يضعنا أمام نفيين، نفي أن يكون "التحيين" تحديثاً ساذجاً، ونفي أن يكون مفهومه مطابقاً لمفهوم فالتر بنيامين عما أسماه "قفزة النمر إلى الماضي" (Tigersprung ins Vergangene)، ويستخدم هنا أسلوب (weder...noch)، الذي يمكن ترجمته إلى (لا...ولا أيضاً)؛ ولذا فإن الأمور تبدو سائرة في مجاريها السوية، ولا يكاد يلحظ القارئ سوى تخالف طفيف في المعنى بين النصين، لكنه سيبدأ في تلمس الأزمة حين يستمر في قراءة النص الألماني، وأقصد تحديداً منذ العبارة القائلة: « die dezidiert » التي ستخبره أن مصطلح فالتر بنيامين، المرصود لشرح العلاقة بين ما هو ثوري واستمرارية التاريخ، يشير إلى اختيار حتمي رافض لمتخللات ماضٍ نموذجي، أملاً في شرعة لحظة انطلاقاً جديدة في الحاضر؛ وذلك أن القارئ إذا ألم بهذه المعاني فسوف يدرك على الفور أن ما كان يعتقد، عن طريق ترجمة بنحدو، أنه مفهوم يابوس الخاص بمصطلح "التحيين" لم يكن في الحقيقة سوى مفهوم بنيامين عن مصطلح "قفزة

النمر إلى الماضي" ! التأكد من هذه النتيجة يسير، لكن لا ضير من الإشارة السريعة إلى أن الجملة كلها مرتبطة بفعل مذكور في آخرها ها هو erläutert ويعني: أوضح وشرح، وأن العبارة المبينة لمفهوم بنيامين مسبوقة بهذه العلامة (:)، وأن هذا العرض يتسق مع مفهوم بنيامين عن مصطلحه.¹¹⁰

على أن استمرار القارئ في تأمل النص الألماني سينبئه عن طريقة أخرى لتبلغ هذه النتيجة، من الممكن أن يستخرجها من شروع النص في الحديث عن المفهوم المقصود من مصطلح "التحيين"، بدءاً من الجملة اللاحقة المفتوحة بقوله Im Bereich إذ إنه حديث يخلق لدى القارئ صورة تعاند الصورة التي كونها عن مفهوم فالتر بنيامين، فياوس وإن كان يرى أن لا "تحيين" بدون "انتقاء" (Selektion)، فإنه يبتعد عن فكرة "الرفض"، أو فكرة "إنعاش" (Zurückgewinnung) الماضي لصالح اللحظة الثورية الحاضرة، بما أنه يشدد على إقامة العلاقة المنعكسة بين الماضي والحاضر، ودراسة العلاقة الجدلية بين العمل الفني ومستوعبيه، وهي المعاني التي سيتمكن المرء من تلمسها بصورة ما إذا استمر في قراءة ترجمة بنحدو نفسه؛ ما يجلي خطورة هذا الخطأ الترجمي الذي أتقصاه، إذ لو كان المفهومان متواطئين أو متقاربين لربما هون ذلك، في رأي بعض الدارسين، من حجم الخسائر المتحصلة للقارئ العربي، لكنه حيز في فقرة واحدة ولشخص واحد مفهومين متنافرين، لنكتشف أننا أمام نموذج لترجمة أدت إلى تغيب المرجعية، تفلت المصطلح والمفهوم، ونحل الكاتب مفهوما لا ينتسب إليه، وهو إلى ذلك ليس منسجما مع نظريته، بل ليس منسجما مع دلالة الفقرة المخصصة له.

هوامش:

- 1- انظر: فينتي (لورانس): فضائح الترجمة، ترجمة عبد المقصود عبد الكريم، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2010م، ص: 191-192.
- 2- انظر: Heidegger, Martin: Heraklit in: Gesamtausgabe, B, 55, Vettorino Klostermann, Frankfurt, S63.
- 3- انظر: فتحي المسكيني: مقدمة ترجمة كتاب الكينونة والزمن لهيدغر، مراجعة: إسماعيل المصدق، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2012م، ص: 17.
- 4- انظر: فينتي (لورانس): فضائح الترجمة، ص 191-192.
- 5- للمزيد حول صوغ المصطلح، انظر: عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2002م، ص 47-48.
- 6- للمزيد حول الترجمة وعلاقتها بالمفاهيم، انظر: منذر عياشي، الترجمة وإشكالية التأصيل، مجلة ثقافات، كلية الآداب بجامعة البحرين، 2005م، العدد 13، ص 13.
- 7- ينظر حول ذلك: <http://www.duden.de/rechtschreibung/Hermeneutik>
- 8- ينظر: بوزنر (جورج) وآخرون: معجم الحضارة المصرية القديمة، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة العامة للكتاب، 1996م، ص 95-96.
- 9- ينظر: - Heidegger (Martin): Der Ursprung des Kunstwerkes, in Holzwege, V.Klostermann, Frankfurt, 2003, S.50-59.
- Palmer (Richard): Hermeneutics Interpretation Theory in Schleiermacher, Dilthey, Heidegger and Gadamer, northwestern University Press, USA, 1969, p13.
- 10- انظر: Pépin Jean, L'herméneutique ancienne. Les mots et les idées, in : Poétique, 23, Seuil, Paris, 1975, pp : 291-296.
- 11- انظر: يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1936، ص: 156-175.
- 12- انظر: محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة، لونجمان، القاهرة، 1996، ص 113.

- 13- انظر: محمد عناني، نظرية الترجمة الحديثة، مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، لونجمان، القاهرة، 2003، ص: 275-281.
- 14- انظر: عز الدين إسماعيل، جدلية المصطلح الأدبي، مجلة علامات، يونيو، 1993، ص 135-136.
- 15- انظر: نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2005، ص 13.
- 16- انظر: مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مكتبة لبنان، بيروت 1975، ص 209.
- 17- انظر محمد شوقي الزين، الفينومينولوجيا وفن التأويل، مجلة فكر ونقد، عدد 16، 1999، ص: 71-75.
- 18- أشير هنا إلى قلق هذه العبارة من النص المترجم، مبعثه الأول ما نطن أنه خطأ طباعي في جملة: "بما نسميه اللاتينية"، إذ لا يستقيم تركيبها، وهي فضلا عن هذا غير موجودة بالنص الأصلي، الذي يقول:
- Esist also einers, auf Deutsch: Kunstlehre, wie die Redekunst... mehrere praktische Fertigkeit Als Eine Wissenschaft »
- راجع النص كاملا في:
- Gadamer, Hans Wahrheit und Methode, Bande2 : Ergänzungen, Register, Mohr Siebeck, Tübingen, 1993, S.93.
- وبتأمل هذا المقطع يتبين المبعث الثاني للقلق؛ إذ ليس فيه إحالة لحد الآن على تقنية أو آلية، وإنما فيه الحديث عن التعلم بوصفه فنا أو مجالا للمران، ويؤكد هذا سوق الأمثلة المطردة: فنون الخطابة والكتابة والحساب، ولذلك يترجم بالمر هذه العبارة بعبارات شارحة تحيل على التعليم أو المذهب في فن معين:
- « Hermeneutics is thus an ars (art), or in German a kunstlehre (a teaching or doctrine of a certain art)... »
- الضغط على الكلمات من صنيعي، ولمراجعة الترجمة انظر:
- Palmer, Richard: The Gadamer Reader: A Bouquet of the Later Writings, north-western University Press, USA, 2007, p45.
- أستثني أخيرا هنا ما يمكن أن تنطوي عليه عبارة المقرة العملية (Praktische Fertigkeit) من تقنيات، وهو أيضا ما يمكن أن تقوم به اللفظة اللاتينية ars لا الألمانية Kunstlehre، لكن الأمر حتى مع هذا التقدير قد جاء في الترجمة العربية معكوسا.

- 19- انظر: غادامير (هانس غيورغ)، فلسفة التأويل، الأصول المبادئ الأهداف، ترجمة: محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2006، ص: 62-63.
- 20- انظر: سعيد علوش، هرمونيك النثر الأدبي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1985، صفحات مختلفة.
- 21- نستنتج دراسة لصفاء عبد السلام، ترد فيها هكذا: الهرمينوطيقا، وهي الصورة الأقرب إلى النص الألماني، ولعله يدعم هذا أنها اتصلت ببعض الكتابات الألمانية أثناءها، لولا أنه يقع فيها أيضا صور أخرى، الهرمينوطيقا على صفحة الغلاف، والهرمينوطيقا أثناء المباحث، وإذا عدنا هذه مجرد أخطاء طباعية، فإن ياءات الكلمة التي كان من الممكن التخفيف منها اكسبتها نقلا مضاعفا على أذن القارئ العربي، انظر: صفاء عبد السلام: هرمينوطيقا الأصل في العمل الفني، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000، صفحات مختلفة.
- 22- انظر: عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي وآليات صياغته، مجلة علامات، يونيو، 1993، ص 96-98.
- 23- انظر: عبد الغني بارة، الهرمينوطيقا والفلسفة، نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2008، ص 124.
- 24- انظر: الحبيب بو عبد الله، مفهوم الهرمينوطيقا، الأصول الغربية والثقافة العربية، مجلة فصول، القاهرة، العدد 65، 2005، ص 164.
- 25- انظر: الحبيب بو عبد الله، المرجع السابق، ص 197.
- 26- انظر: العاملي (محمد بن حسين)، الكشكول، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، 1998، 294/1.
- 27- انظر: ابن النديم (الصواب: النديم) الفهرست، تحقيق: محمد عوني عبد الرؤوف وإيمان السعيد، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر، 1/248/2006؛ بتصرف.
- 28- انظر: الجوهري: الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، 1990، ص 179.
- 29- انظر: سعيد بنكراد: التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التدلال، مجلة علامات، المغرب، 2008، ص 26-38.
- 30- انظر: هوامش المترجم في: أمبرتو إيكو: التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2004، ص 138، باختصار.

- 31- انظر: سعيد بنكراد، التيارات النقدية الجديدة، الأصول النظرية وشروط الاستنبات، مجلة ثقافات، البحرين، العدد 21، 2008، ص 193.
- 32- يوضح محمد حسن عبد العزيز جانباً من هذا الخلاف بقوله: "رأينا سيبويه لا يشترط في تعريب الكلمة أن تخضع للأوزان العربية، ولم ير بأساً من أن تتخذ الكلمة حروفاً غير حروفها، وقد انتهج نهجه عديد من العلماء، حتى كادوا يتفقون على أنه ليس يلزم في المعربات أن تأتي على أمثلتهم، وقد رأينا الجوهري يخالف في ذلك، ويشترط أن تجيء الكلمة المعربة على وزن الكلمة العربية، وتبعه في ذلك الحريري" انظر: محمد حسن عبد العزيز: التعريب في القديم والحديث؛ مع معاجم للألفاظ المعربة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1990، ص 78.
- 33- انظر: منى طلبة: الهرمينوطيقا، المصطلح والمفهوم، مجلة إبداع، القاهرة، أبريل 1998، ص 49.
- 34- نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، ص 7، 16، 44، والنص السلطة الحقيقة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1995، ص 112، وصفحات أخرى.
- 35- انظر: نصر حامد أبو زيد، فلسفة التأويل، دراسة في تأويل القرآن عند محي الدين بن عربي، دار التنوير، لبنان، 1983، ص 11.
- 36- انظر: نصر حامد أبو زيد، المرجع السابق، ص 13.
- 37- انظر: جوس (هانز روبرت)، التاريخ الأدبي بوصفه تحدياً للنظرية الأدبية، ترجمة، عيسى علي العاكوب، ص 234.
- 38- انظر: ياكوس (هانز روبرت)، نحو جمالية للتلقي، تاريخ الأدب تحدٍ لنظرية الأدب، ترجمة محمد مساعدي، ص 58.
- 39- انظر: جوس (هانز روبرت)، جمالية التلقي والتواصل الأدبي، ترجمة سعيد علوش، ص 106.
- 40- انظر: جوس (هانز روبرت)، علم التأويل الأدبي حدوده ومهماته، ترجمة بسام بركة، ص 60.
- 41- انظر: ياكوس (هانز روبرت)، أدب العصور الوسطى ونظرية الأجناس، ضمن: مجموعة مؤلفين، نظرية الأجناس الأدبية، تعريب عبد العزيز شليل، مراجعة حمادي صمود، النادي الأدبي الثقافي، جدة، 1994، ص 55.
- 42- راجع المقال على الرابط الآتي:

<http://www.angelfire.com/ma4/baba-houari-halifa/jamaliyat.html>

- 43- انظر: إيفانكوس (خوسيه ماريا)، نظرية اللغة الأدبية، ترجمة: حامد أبو أحمد، ص129.
- 44- انظر: هول (روبرت سي): نظرية الاستقبال، ترجمة، رعد عبد الجليل جواد ص76.
- 45- انظر: هولب (روبرت)، نظرية التلقي، مقدمة نقدية، ترجمة عز الدين إسماعيل، ص104.
- 46- انظر: شويفيجن (فرانك)، نظريات التلقي، ترجمة محمد خير البقاعي، ص34.
- 47- انظر: سامي إسماعيل، جماليات التلقي، دراسة في نظرية التلقي عند هانز روبرت ياكوب وفولفجانج ايزر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002، ص86. من المهم أن نكون على وعي هنا بأن جزءا كبيرا من كتاب سامي إسماعيل، كما سبق أن لاحظ ذلك هشام مطاوع، يشبه أن يكون ترجمة لمحاضرة ياكوب عن الإنجليزية، وهو ما ربما يرشحه لتمثيل هذه المرجعية.
- 48- انظر: خير الدين دعيش: أفق التوقع عند ياكوب ما بين الجمالية ومناهجها، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد 1، 2009، ص88.
- 49- انظر: حسين الواد: من قراءة النشأة إلى قراءة التقبل، ص118.
- 50- انظر: شكري المبخوت، جمالية الألفة، النص ومتقبله في التراث النقدي، ص77-79.
- 51- انظر: زيم (بيير)، النقد الاجتماعي، ترجمة عايدة لطفي، ص304.
- 52- انظر: أحمد بوحسن، نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث؛ ضمن: مجموعة مؤلفين: نظرية التلقي إشكالات وتطبيقات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1993، ص29.
- 53- انظر: تأدييه (جان إيف)، النقد الأدبي في القرن العشرين، ترجمة: قاسم المقداد، ص261.
- 54- انظر: ستينميتر (هورس)، التلقي والتأويل، ترجمة منذر عياشي، مجلة نزوى، العدد 49، يناير 2007، وراجع الرابط الآتي:
<http://www.nizwa.com/articles.php?id=2168>
- 55- انظر: رضوان ضاوي: روبرت ياكوب؛ مسالك الفهم الحوارية وجماليات التلقي، مجلة جسور، العدد 6، سبتمبر 2012م، ص47.
- 56- أنظر ياكوب (هانس روبيرت): جماليات التلقي، ترجمة: رشيد بنحدو، ص43-44.

- 57- انظر محمد العمري= مترجم: نظرية الأدب في القرن العشرين، ص20-151.
- 58- انظر: غسان السيد: الترجمة الأدبية والأدب المقارن، مجلة جامعة دمشق، دمشق، المجلد23، العدد1، 20017، ص79.
- 59- كشف لي المترجم في حوار معه أن ملاحظة أستاذ متخصص في اللغة الألمانية كانت هي الدافع لعدوله عن الاختيار الترجمي الأول، لكنني لم أتمكن أثناء ذلك من استخلاص الأسباب الموضوعية وراء هذا القرار، بل الطريف أنه أخبرني بأنه لا يزال يرى بتكافؤ المصطلحين: الانتظار والتوقع، وأن واحدا منهما قد يؤدي دور الآخر.
- 60- غسان السيد= مترجم: في نظرية التلقي، ص90.
- 61- انظر: فؤاد عفاني: نظرية التلقي: ص96-98.
- 62- انظر: هشام مطاوع: السياق الثقافي لنظرية استقبال النص، ص49-165.
- 63- محمد المبارك: استقبال النص عند العرب، ص43.
- 64- انظر: هول (روبرت سي): نظرية الاستقبال، ترجمة: رعد عبد الجليل جواد، ص76.
- 65- انظر: عيد الناصر حسن: نظرية التوصيل وقراءة النص الأدبي، ص108، 112، 113.
- 66- انظر: حافيظ إسماعيل علوي: مدخل إلى نظرية التلقي، مجلة علامات، النادي الأدبي الثقافي، جدة، المجلد9، الجزء34، ديسمبر 1999م، ص88-89.
- 67- قارن: ياكوس (هانس روبرت): أدب العصور الوسطى ونظرية الأجناس، تعريب: عبد العزيز شليل، ص55.
- 68- قارن: أحمد بوحسن: نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، ص29. ولعله يؤكد هذا الظن في حالة حافيظ علوي ورود الأعلام الأجنبية عنده حاملة أخطاء الهجاء نفسها التي كان قد وقع فيها بوحسن، نحو كتابته هذا الاسم بلومبرج (Blumbergue)، في حين أن الصورة الصحيحة لاسم هذا الفيلسوف الألماني هي بلومنبيرج (Blumenberg)، وهي صورة متوافرة في الأصل الألماني والنسخة الفرنسية المترجمة. انظر:
- Jauß Hans Robert : Pour une esthétique de la réception, Trad. de l'allemand par Claude Maillard, Préface de Jean Starobinski, Gallimard, Paris, 1978, p33.

69- انظر: روث (أرنولد): دور القارئ في النقد الألماني المعاصر، ترجمة عبد العالي مريني، ص116-117.

70- انظر: باجو (هنري باجو): الأدب العام والمقارن، ترجمة: غسان السيد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1997، ص77-78.

71- انظر: عبده عبود: هجرة النصوص، ص236.

72- عبده عبود: هجرة النصوص، ص249.

73- انظر: شراجله (جوتس): قاموس ألماني عربي، ص372.

74- انظر: شراجله (جوتس): قاموس ألماني عربي، ص1365.

75- هناك أفعال أخرى تشير إلى هذه الحالة مثل (wohnen) الذي يتعدى بحرف الجر (in) و (bewohnen) الذي يتعدى بدون حرف جر، وكلاهما يحيلان على الفعل "يسكن" انظر:

Askedal, John Ole: das Valenz und Dependenz Konzept Bei Lucien Tesnière, in: Vilmos Ágel, et al. (Hg): Dependenz und valenz ein internationales handbuch der zeitgenössischen forschung, Handbücher Zur Sprach- und Kommunikations wissenschaft, B.25, Gruyter, 2003, 1:96.

76- انظر:

Grimm, Jacob und Wilhelm: Deutsches Wörterbuch, B.27, S.2126.

77- انظر:

Grimm, Jacob und Wilhelm: Deutsches Wörterbuch, B.3, S.1045.

ومن الشواهد المسوقة لإظهار دلالة هذا الفعل على "الانتظار" دون "التوقع" قول شيللر في آخر مسرحياته: فيلهلم تل (Wilhelm Tell, 1804)، على لسان فالترف ورسن:

"erwarteter und fasst euch in geduld,

bis nachrichtunsherüberkommt vomwalde"

Schiller, Friedrich: Sämtliche Werke, Cotta, Stuttgart-Tübingen, 1819, B.1, S.35.

إذ مهما تغايرت طرائق المترجمين في نقل هذا المقطع، فلن يكون أمامهم متسع لإدراج دلالة التوقع في السطر الأول، ذلك أنه لا يحوي سوى الألفاظ الدالة على الاستمساك بالتصبر والتجلد وتهدة النفس حتى يحدث شيء ما

سيحدثنا عنه السطر الثاني، ولذا يقترح السياق بل يوجب دلالة "الانتظار" وعليه يمكن ترجمته بصورة مباشرة على النحو الآتي:

"انتظروا فقط وهدنوا روعكم في تصبر حتى يأتي إلى جهتنا نبأ من جهة الغابة"

78- مثل قولنا: نريد أن ننتظر الطعام حتى يكون الجميع هنا (Wir Wollen Mit Dem Essen warten, bis alle da sind) وحجرة الانتظار (Wartezimmer).

79- على سبيل التمثيل أشير إلى العبارات الآتية:

أنا أنتظر (Ich erwarte dich)،

وأنا انتظر طفلي الأول (Ich erwarte mein erstes kind)،

والموتى ينتظرون في قبورهم يوم القيامة

Die Todten Erwarten in ihren Gräbern den Tag de Auferstehung أثرت هنا ترجمة مدرسية تبرز قابلية السياق لتحمل اللفظة، ولا تتورط في حجب العلاقة بين الفعلين عن القارئ العربي، وتلتزم بطبيعة التركيب؛ وفي غير هذا المقام يمكن إعادة الصياغة واستثمار دلالات أخرى سأشير إليها.

80- قدامة بن جعفر (أبو الفرج): الألفاظ الكتابية، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2003، ص368.

81- الجوهري (إسماعيل بن حماد): الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العالم للملايين، بيروت، ط4، 1990، ص1303.

82- ابن سيدة: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، الجزء2، ص199.

83- ابن منظور: لسان العرب، ص4896.

84- انظر:

Olivier, René: Wörterbuch-Französisch Deutsch, VEB, Leipzig, 1983, S.27, 203.

85- انظر:

Körting, Gustav: Etymologisches Wörterbuch der französischen Sprache, F.Schöningh, Paderborn, 1908, S.26.

86- تحليل الكلمة على الانتظار في الغالب، لكننا نقول:

قاعة الانتظار (Salle d'attente)، كما نقول:

النتائج فاقت توقعاتنا (Les résultats dépassent nos attentes)

87- انظر:

Grimm, Jacob und Wilhelm: Deutsches Wörterbuch, B.3, S.1044.

88- انظر:

Grimm, Jacob und Wilhelm: Deutsches Wörterbuch, B.3, S.1044.

89- انظر:

Harm, Volker: Regularitäten des semantischen Wandels bei Wahrnehmungsverben des Deutschen, Zeitschrift für Dialektologie und Linguistik, Beihefte, H.110, Steiner, Stuttgart, 2000, S.134, 135.

90- الجوهري: الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية، ص1303.

91- ابن سيدة: المحكم والمحيط الأعظم في اللغة، الجزء 2، ص197.

92- قدامة بن جعفر: الألفاظ الكتابية، ص286.

93- الجوهري: الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ص831.

94- الراغب الأصفهاني (الحسين بن محمد)، المفردات في غريب القرآن، تحقيق: محمد سير كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1999، ص498.

95- ابن منظور: لسان العرب، ص4466.

96- من الأبيات الشعرية الدائعة في هذا المعنى لفعل "توقع"، قول المتنبي (ت:354هـ):

تصفو الحياة لجاهل أو غافل *** عما مضى فيها وما يتوقع

انظر: المتنبي: (ديوان المتنبي)، تحقيق: عبد الوهاب عزام، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1944، ص506.

97- ياقوت (هانس روبيرت): جمالية التلقي، ترجمة: رشيد بنحدو، ص55.

98- انظر:

Jauß Hans Robert: Literaturgeschichte als Provokation der Literaturwissenschaft, 1975, S.140.

99- انظر:

Jauß Hans Robert: Pour une esthétique de la réception, p.63.

100- رشيد بنحدو: مقدمة المترجم، ضمن كتاب: ياقوت (هانس روبيرت): جمالية التلقي، ص15-16، باختصار.

101- من المعروف أن أستاذي عبد الغفار مكاوي كان من أوائل الذين قدموا الفيلسوف الألماني هيدجر إلى العربية، على مستويي الترجمة والشرح، وهو يتبنى ترجمة الكلمة الألمانية (Sein) إلى الوجود، انظر: عبد الغفار مكاوي:

نداء الحقيقة مع ثلاثة نصوص عن الحقيقة لهيدجر، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2010م، ص45، 78، 99، 197، 198. ومع أنني سأقيد في هذا الموطن من نصوص في تقريب بعض أفكار هيدجر، فإني أنزع في ترجمة المصطلح باتجاه الآخرين الذين يترجمونه في هذا السياق إلى "الكيونة"، مقدمين مبررات وجيهة لجعل كلمة "الوجود" معادلاً لمصطلح (Existez)، بما أن هيدجر يحصر استخدامها على الإنسان، انظر: مارتن هيدغر: الكيونة والزمن، ترجمة: فتحى المسكينى، مراجعة: إسماعيل المصدق، دار الكتاب الجديد المتحدة، طرابلس، 2012، ص762-775. وبخلاف ذلك فإن ترجمة المسكينى كلمة (Geschehen) إلى "حدثان" تبدو غير مقنعة ولا مريحة، حتى مع احترام السعي إلى تضمين اللفظة معنى الاستمرار، بسبب ما تحيل عليه اللفظة العربية من متصور بعينه هو الليل والنهار، واستخدامها للتعبير عن المصائب، وصورتها المشتركة مع صورة المثنى.

102- انظر:

Heidegger, Martin: Sein und Zeit , Niemeyer Verlag, Tübingen, 1957, S.375.

103- تعرف مدرسة هيدجر بالتأويلية الظاهراتية، وهي ظاهراتية لأن التفسير فيها يكون منشغلاً بماهية ظواهر الوجود الإنساني في صلته الحميمة بظواهر الوجود ذاته، أما مدرسة تلميذه جادامر فتعرف باسم التأويلية الفلسفية، وهي تمتد لتشمل فهم وتفسير كل ما يكون قابلاً للفهم والتعقل، وتعد أيضاً ظاهرتية الطابع، لكن مع تمديد لمنطقاتها وتوسيعاً لآفاقها. للمزيد، انظر: سعيد توفيق: مقالات في ماهية اللغة وفلسفة التأويل، دار الثقافة، القاهرة، 2002م، ص94-97، 128.

104- لم يذكر يابوس في محاضراته عبارة جادامر كاملة، وأقدمها هنا بالرجوع إلى:

Gadamer, Hans George: Wahrheit und Methode, B.1, S.295.

105- يابوس (هانس روبيرت): جمالية التلقي، ترجمة: رشيد بنحدو، ص45.

106- انظر:

107- Jauß Hans Robert : Literaturgeschichte als Provokation, S.175.

107- يتفق محمد مساعدي مع بنحدو في بعض هذه المعاني؛ إذ يقول: "سيرورة التلقي يمكنها أن تتحدد بوصفها توسيعاً لنسق سيميولوجي يتحقق

بين قطبي: توسع النسق وإعادة تصحيحه، إن علاقة النص غير الخاضع للإبدال *paradigme* السائد بسلسلة النصوص السابقة...". انظر ياوس (هانس روبرت): نحو جمالية التلقي، تاريخ الأدب تحد لنظرية الأدب، ترجمة محمد مساعدي، ص65. مع ملاحظة أن ما يترجمه مساعدي إلى "إبدال" هو ما سبق أن ترجمه بنحدو إلى "الجدول"، وإذا كانت الكلمة كما ذكرنا غير موجودة في الأصل الألماني، فمن المهم معرفة أن ترجمة بنحدو هنا تبدو أقل انحرافاً، لكونها عادت ففسرت الجدول بـ: "سلسلة النصوص"، بخلاف ترجمة مساعدي التي ولدت دلالة جديدة حين جعلت "الإبدال" حدثاً يجري لـ: "سلسلة النصوص السابقة".

108- ياوس (هانس روبرت): جمالية التلقي، ترجمة: رشيد بنحدو، ص103.

109- انظر:

Jauß Hans Robert: Racines und Goethes Iphigenie, S.389.

110- للمزيد، انظر:

Hering, Christoph: Die Rekonstruktion der Revolution, S.119-126.